تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

تاونات: المجلس العلمي المحلي ينظم: ملتقى العالم المؤطر

ص 12

الأستاذ إدريس اليوبي في ذمة الله تعالى

ص 9

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 3 رجب 1438هـ الموافق لـ 01 أبريل 2017 | العدد :476

افتتاحية

أما الإعلام الإسلامي فلا بواكي عليه...

الإعلام رسالة الأمة ولسانها المفصح عن حالها، والمعبر عن طموحها وآمالها، والمعالج لمعضلاتها وآلامها، والإعلام مضمار مواهب وإبداعات الأمهات والآباء، ومدرسة إيقاظ همم الكبار من الرجال، وصناعة الأجيال وفق أصول مرجعية الأمة للإسهام في حل المشكلات الواقعية والتفكير في المعضلات المستقبلية.

والإعلام في الأمة الإسلامية -فوق ما سبق- رسالة دينية، ووظيفة دعوية، ومدرسة تربوية وتعليمية، أصبح في عصرنا من ضرورات الحياة ومقومات الوجود، ومستلزمات التدافع، وهو واحد من القوى التي أمرت الأمة بإعدادها لحماية بيضتها، وصيانة هويتها، وهداية الناس إلى الحق الذي أمرت بتبليغه.

والإعلام الإسلامي إعلام أخلاقي يلتزم بما يدعوه إليه الإسلام من الآداب الفاضلة من الصدق وتحري الحقيقة، ونشر الكلمة الطيبة، وبث كل ما يصحح المفاهيم ويبني التصورات، ويرشد السلوكات وينصح بالتي هي أحسن.

إنه بمثابة ميزان الحرارة يشخص واقع الأمة بأمانة، ويعكس ما تعانيه من معضلات وما تشهده ساحتها من تسابق في الخيرات وتنافس في المبادرات، ويقترح ما يلزم من ذلك من حلول ومقترحات.

غير أن الإعلام الإسلامي رغم قيمته الذاتية وضرورته الواقعية؛ فإنه منذ محاولات نهوض هذه الأمة وهو يعاني من كبوات ومعضلات:

أولها: أنه إعلام ليس له من يسنده إلا قلة قليلة حملت هموم الأمة من بعض المحسنين وبعض المؤسسات ممن ناءت كواهلهم بأعباء الأمة الأخرى، مما قلل من حضوره في الساحة الإعلامية وقلل من حظوظه في المنافسة والمواكبة.

ثانيها: أنه إعلام لم يحظ بالحضور الكافي في الساحة التعليمية الأكاديمية ومعاهد التكوين في مجال الإعلام والصحافة مما قلل فرص التعرف على مقوماته العلمية والنظرية أمام أبناء الأمة، وفوت عليها تكوين خبراء إعلاميين على المستوى الفكري والعملي المهني والتقني بإمكانهم سد الخصاص وكفاية الأمة هذا الهم.

وإنه رغم الجهود التي بذلتها كثير من الجهات الرسمية والفردية في بلدان العالم الإسلامي في تأسيس مؤسسات إعلامية مكتوبة ومرئية وعلى الشابكة لخدمة الإعلام، ورغم ما بذله القائمون عليها من جهود طيبة في التوعية بالإسلام وبحلوله لمشكلات الفرد والمجتمع إلا أن هذا الإعلام لم يجد مكانه المناسب في ساحة التدافع، ولم يرق إلى مستوى الاستجابة لتحديات الأمة، لأن كثيرا منه أجهضت أحلامه، وطويت صحيفة عمره قبل استكمال مهمته وعمله، فكم من جريدة أقبرت، وبقي الثغر الذي كانت تسده فارغا!! وكم من قناة قطع إرسالها وتوبع رجالها، وطوي ذكرها عن أجيالها!! وفي المقابل كل يوم يولد منبر إعلامي ليقوض أركان الإسلام، ويبث ما يناقض ما في الإسلام من الحلال والحرام، وينقَض على ما بناه الغيورون من الأحلام...

إن الإعلام ثغرة عظيمة قل من يسدها، ورسالة جسيمة ندر من يحملها بالشكل المطلوب. ولعلي لا أبالغ إن قلت إن الذين يفرحون لسقوط منبر إعلامي إسلامي أكثر من الذين يألمون!! وإن الذين يبادرون للإنفاق على كل إعلام هجين أَثْبَتُ في مواقفهم ومواقعهم من الذين يُدْعَوْنَ للإنفاق على إعلام الأمة من أبنائها!! فهل يصح أن نقول: إن الإعلام الإسلامي لا بواكي عليه!؟

إن أمانة إقامة إعلام إسلامي أمانة الأمة كاملة؛ أمانة تطوق أعناق أبنائها من العلماء المفكرين والباحثين، وأمانة يسأل عنها من استخلفهم الله تعالى في ملكه وأنعم عليهم بنعمة المال، وأمانة أيضا مودعة بين يدي المسؤولين والقائمين على الشأن العام، وأمانة جمهور الأمة من المثقفين وعموم القراء.

ورغم كل ما سبق ذكره من السلبيات والمعيقات فلا يزال الخير في أبناء الأمة ما بقي الإيمان، ولن يزول الخير من هذه الأمة وفيها مؤمنون وغيورون، وفيها رجال صادقون... كيف وقد أخبر رسول الله ﷺ ببقاء أمته على الخير فقال: «ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله». (رواه البخاري ومسلم). وقال رسول الله ﷺ: «أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم في آخره» (رواه الترمذي وحسنه).

ولينظر الانسان مم خُلق

ص 2

من ثمرات الرفقة الصالحة

ص 3

الاقتداء بالرسول ﷺ سبيل الحياة الطيبة

ص 4

الملتقى الفقهي الدولي للمالية التشاركية بفاس يتدارس قضايا المطابقة الشرعية

ص 8

العناية بالإنسان في التشريعات الإسلامية

ص 7

من معاني الزكاة والتزكية في القرآن الكريم (تتمة)

عرفنا مما سبق أن لفظي التزكية والزكاة يدوران على أصلين لغويين هما الطهارة والنماء، قال ابن فارس: "الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ". ثم قال بعد ذكر جملة استعمالات للفظ: "وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ رَاجِعٌ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهُمَا النَّمَاءُ وَالطَّهَارَةُ".

ومن معاني هذه المادة اللغوية كما جاء في لسان العرب: "الطهارة والنماء والبَركةُ والمَدْح".

إلا أن معظم هذه المعاني الزائدة عن الطهارة ترجع إلى النماء، كما يبينه كلام الزمخشري في أساس البلاغة، قال: "ومن المجاز: رجل زكي: زائد الخير والفضل من الزكاء والزكاة. (وحناناً من لدنا وزكاة)، وقوم أزكياء، وقد زكوا. وزكى نفسه: مدحها ونسبها إلى الزكاء".

فالتزكية التي بمعنى المدح ترجع أيضا إلى النماء، باعتبار أن من يزكي نفسه فهو ينسبها إلى الزكاء والنماء في الخير والفضل.

وأما في الاستعمال القرآني فنجد علاقة بين الزكاة والتزكية من وجه، وخلافا من وجه آخر، ذلك أننا يمكن أن نعرف التزكية بأنها أقصى ما يسعى المؤمن الذي يتعلم القرآن بالمنهج السليم في التلقي، أن يحققه من طهارة في نفسه.

فقولنا إنها أقصى ما يمكن أن يتحقق في النفس من طهارة، يدخل فيه التطهر من كل العقائد الفاسدة، ومن كل النوايا الخبيثة، ومن كل الأعمال الرذيلة، ثم تنمية النفس بالفضائل والخيرات بعد تطهيرها من الرذائل والآثام.

وقولنا إن ذلك رهين بتعلم القرآن وفق المنهج السليم في التلقي، يدخل فيه الاستعانة بالقرآن وسيلة، وبالسنة منهجا، كما سبق بيانه.

بينما الزكاة هي ما يتحقق فعلا في من زكى نفسه، فالتزكية هي باعتبار ما ينبغي أن يكون، بينما الزكاة هي باعتبار ما هو كائن، وكأن في تسمية الصدقة المعلومة بالزكاة إشارة إلى أن بذل المال هو أعلى درجات التزكية، وهو المعيار الذي تتوج به التزكية لتتحقق زكاة لدى المؤمن الذي يعطي ماله الخالص لغيره عن طيب خاطر رجاء في ما عند الله تعالى، وهذه الزكاة لم يوصف بها في القرآن إلا نبي أو طفل على الفطرة، الأول في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: 12-13)، والثاني في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف: 74).

ويساعد على هذه التفرقة الوزن الصرفي للكلمتين، فالتزكية هي تفعلة، ولذلك هي سعي لتحقيق الزكاة، بينما الزكاة هي "من زكا يزكو، كنما ينمو وزنا ومعنى، فأصله: زكوة بوزن فعلة، قلبت الواو ألفا؛ لتحركها بعد فتح".

فالزكاة اسم مرة من التزكية بمعنى أنها تحَقُّقٌ لما يسعى إليه المؤمن من فعل التزكية، والفرق بين الزكاة والتزكية كالفرق بين الطهارة والتطهير.

من هنا يمكن القول إن من اتبع المنهج النبوي في تزكية نفسه بوسائل التزكية من تلاوة للقرآن وتوحيد لله وعمل الصالحات، وتوّج ذلك ببذل المال وبالإنفاق في سبيل الله تتحقق له الزكاة نتيجة سعيه إلى تزكية نفسه بما سبق.

ويدل على أن بذل المال هو أقوى وسائل التزكية قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: 103)، وقوله عز من قائل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الليل: 17-18).

وقد قال معظم المفسرين إن العلاقة بين المعنى اللغوي للزكاة المتمثل في الطهارة والنماء، والاصطلاح الذي انتقل إليه اللفظ، هو أن الزكاة، بما هي صدقة مفروضة، إنما هي طهارة للنفوس وللمال أيضا، قال البقاعي رحمه الله تعالى في تفسير الآية 77 من سورة النساء: "﴿وأقيموا الصلاة﴾ أي صلة بالخالق واستنصاراً على المشاقق ﴿وآتوا الزكاة﴾ منماة للمال وطهرة للأخلاق وصلة للخلائق".

وقال في تفسير آخر سورة الحج: "﴿وآتوا الزكاة﴾ التي هي طهرة أبدانكم، وصلة ما بينكم وبين إخوانكم".

ومما يدل على التداخل بين المعنيين، وعلى ورود الزكاة بمعنى طهارة النفس، وعدم اختصاصها في القرآن الكريم بالصدقة المفروضة، قول ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: "وهي[أي الزكاة] من الأسماء المُشْتركة بين المُخْرَج والفعْل فتطلَق على العَين وهي الطَّائفة من المال المُزَكَّى بها وعلى المَعنى وهو التَّزكية. ومن الجَهْل بهذا البيان أتَى مَن ظَلم نفسَه بالطَّعن على قوله تعالى: [وَالذِّين هم للزَّكاة فاعلُون] ذاهباً إلى العَين وإنما المُرادُ المَعْنى الَذي هو التَّزْكية".

وقال القاسمي في محاسن التأويل: "وكذلك الزكاة. هي اسم لما تزكو به النفس. وزكاة النفس زيادة خيرها، وذهاب شرها. والإحسان إلى الناس من أعظم ما تزكو به النفس، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به النفس، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (النور: 21). وأصل زكاتها بالتوحيد وإخلاص الدين لله، ثم قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت: 6-7). وهي عند المفسّرين التوحيد. وقد بيّن النبي ﷺ مقدار الواجب وسماها الزكاة المفروضة.فصار لفظ الزكاة- إذا عرّف باللام- ينصرف إليها، لأجل العهد".

والخلاصة أن التزكية عمل يفترض بالمؤمن السعي من خلاله إلى تحقيق زكاة نفسه، وقد يتحقق فعلا بالبذل والإنفاق في سبيل الله بعد توحيده وطاعته، ولكنه قد يكون عطاء من الله لمن يشاء من عباده خاصة الأنبياء والأطفال ممن هم على الفطرة، فيوصفون بالزكاة، التي هي نتيجة لفعل التزكية. غير أن لفظ الزكاة إذا أطلق وعرف باللام دل على الزكاة المفروضة في مال المسلم. والله تعالى أعلم وأحكم.

د. كلثومة دخوش

"فلينظر الانسان مم خُلق" 2/1

من ينظر في عالم الإنسان يرى عجبا: شعوبا وقبائل كثيرة تتعدد أجناسها وألوانها وألسنتها وثقافاتها.. ومع هذا التنوع؛ فإنهم كلهم يرجعون إلى أصل واحد، وكلهم خُلقوا من شيء واحد... فسبحان الخالق. وفي ذلك حكمة ربانية بالغة، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمر الإنسان بالنظر إلى أصل خلقه والتفكر في مادة خلقه، فقال جل وعلا: ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ (الطارق: 5).

فهل منا من يتفكر في أصله ومبدئه وكيف كان قبل أن يصير إنسانا كاملا مستويا منتصب القامة؟ أصل الإنسان ومادة خلقه:

أخبر الرب الكريم سبحانه في آيات كثيرة من كتابه الحكيم بأصل الإنسان والمادة التي خلقه الله منها، ويتبين أن خلق الإنسان كان عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى: المرحلة الترابية الطينية

قال الباري عز وجل: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (الأنعام: 2). **وقال سبحانه:** ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (الروم: 20). **وقال:** ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (الحجر: 26). أي من الصلصال، من حمأ وهو الطين. والمسنون: الأملس... ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال: هو التراب الرطب، وعن ابن عباس ومجاهد أيضا والضحاك: أن الحمأ المسنون هو المنتن...(تفسير القرآن العظيم، 305/4). **وقال:** ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات: 11). **قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك: هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض، وقال ابن عباس** رضي الله عنهما **وعكرمة: هو اللزج الجيد، وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد.** (تفسير القرآن العظيم، 5/7).

ففي هذه المرحلة الأولى خلق الخالق سبحانه أول إنسان وهو أبونا آدم عليه السلام من تراب مخلوط بماء فصار طينا لازبا أي رخوا رطبا ثم تُرك حتى جف ويبس وصار صلصالا كالفخار.. قال الإمام الطبري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾: "وإنما وصفه باللزوب؛ لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خُلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء، والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا" (تفسير الطبري). فالإنسان في أصله تراب ويوم يموت يقبر ويدفن في التراب ويتحلل ويعود كما كان أول مرة ترابا. هذه هي حقيقة الإنسان، أي إنسان مهما كان جنسه ولونه ومهما كان شأنه غنيا أو فقيرا، حاكما أو محكوما، رئيسا أو مرءوسا.... فلينظر الإنسان مم خُلق؟

المرحلة الثانية: المرحلة المائية.

بعد المرحلة الترابية التي تتعلق بآدم عليه السلام تأتي المرحلة المائية التي تتعلق ببنيه.. قال الخالق العظيم جل وعلا: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا..﴾ (فاطر: 11). قال الباري سبحانه: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا...﴾ (الحج: 5).

"من نطفة": أي مني، وهذا ابتداء أول التخليق. "ثم من علقة": أي تنقلب تلك النطفة بإذن الله دما أحمر. "ثم من مضغة": أي ينتقل الدم مضغة، أي: قطعة لحم، بقدر ما يُمضغ، وتلك المضغة تارة تكون "مخلقة" أي: مصور منها خلق الآدمي، "وغير مخلقة": تارة، بأن تقذفها الأرحام قبل تخليقها.. "ونقر في الأرحام ما نشاء" أي: نُبقي في الأرحام من الحمل الذي لم تقذفه الأرحام ما نشاء إبقاءه إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل.." (تيسير الكريم الرحمن2/302-303).

قال عز وجل: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (غافر: 67).

والعلقة: "قطعة من دم رطب، سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه". قاله القرطبي (صفوة التفاسير3/560).

في هذه المرحلة خلق الله تعالى الإنسان من ماء وهو المني، وخلقه خلقا بعد خلق عبر أطوار، كما قال جل وعلا: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (الزمر: 6). **فالطور الأول هو النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم اللحم، ثم ينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر.. قال سبحانه:** ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: 12-14).

ماء مهين: تبين إذن أن الإنسان خُلق من تراب ثم من ماء وهو المني.

فهل تفكرت أيها الإنسان في أصلك؟ إنه ماء. وأي ماء؟ ماءٌ وصفه الخالق سبحانه بأنه مهين، أي: حقير مستقذر.

قال جل وعلا: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة: 7-8). **قال الشيخ السعدي رحمه الله:** "**الماء المهين: هو النطفة المستقذرة الضعيفة**" (تيسير الكريم، 506/2). و"**في غاية الحقارة**" (نفسه، 407/3). **وقال:** ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون﴾ (المرسلات: 20-23).

وأحيانا يُذكر الله سبحانه الإنسان بأصله وهو ذاك الماء المهين، من غير أن يذكره بالاسم تنبيها له وتأنيبا وتوبيخا حين يتكبر ويتعدى... كقوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ (المعارج: 39)، **وقوله سبحانه:** ﴿قُتل الانسانُ ما أكفره من أي شيء خلقه﴾ (عبس: 17-18). أي: ما أكفره لنعمة الله وما أشد معاندته للحق بعد ما تبين، وهو ما هو؟ هو من أضعف الأشياء، خلقه من ماء مهين.." (تيسير الكريم، 420/3). **وأحيانا يوجه الله تعالى الإنسان لينظر ويتفكر مم خُلق، لعله يعتبر ويعود إلى رشده، كقوله جل وعلا:** ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ (الطارق: 5)، **ثم يذكره:** ﴿خُلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (الطارق: 6-7).

ذ. عبد القادر دغوتي

من ثمرات الرفقة الصالحة

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة» (1).

تقديم:

نستقي من هذا الحديث الشريف، تشبيه النبي ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك الذي تجد منه ريحا طيبة، وذلك لما يتصف به من أخلاق فاضلة بحيث إذا ذكرت الله أعانك، وإن نسيت ذكرك، كما شبه الجليس السوء بنافخ الكير، فإذا ما جالسته أحرق ثيابك، ووجدت منه ريحا خبيثة، فصحبته داء، ومجالسته فيها وباء. من هنا نحاول رصد المواصفات التي يجب توفرها في الجليس الصالح، ثم نذكر بعض نتائج الرفقة الصالحة التي يبقى أثرها طويل الأمد، بل تتعدى ثمراتها إلى دار البقاء.

من صفات الصديق الصالح:

مما لا يحتاج إلى بيان، ولا يختلف حوله اثنان، أن الصديق الوفي يجب أن تتوفر فيه بعض الصفات التي هي من صلب الشريعة الإسلامية، فمن ذلك: الوفاء - الأمانة - الصدق - البذل - الثناء. وبالمقابل البعد عن ما يضاد تلك الصفات. لماذا هذه الشروط؟ لأنها عينها صفات الصلاح والفلاح إذا ما اتسم بها الجليس الصالح. وصدق ابن مالك حين قال في ألفيته أثناء حديثه عن عطف النسق:

تَـالِ بِحرفِ مُتْبِعٍ عَطْفَ النَّسَق .... كَاخْصُصْ بِوُدٍّ وَتَنَاءٍ مَنْ صَدَق

بل خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»(2). فخير الأصحاب ما كان أكثرهم إحسانا إليك ولو بالنصيحة، فيكون دائم النصح والإرشاد لك، بطاعة الله وطاعة رسوله، فيعينك على العبادة ويذكرك بالله، وينبئك بلقاء الله؛ لأن كل خليل في غير طاعة الله فهو عدو لله بدليل القرآن، وسنة النبي العدنان، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أي جُلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيتَه، وزاد في علمكم منطقَه، وذكركم بالآخرة عملُه»(3). بالطبع، كثير من الناس تسرك رؤيتَه، فهو يدلك على الله بالأحوال قبل الأقوال، فما من موطن إلا وتلحظه فاعلا للخير نائيا عن الشر، ناصحا أصحابه ومن حوله، صوّاما قوّاما، محبوبا لدى الناس، تفتح له قلوبهم، وتنشرح بمجالسته صدورهم، ويعجبون بحديثه، فيألف ويؤلف، فمثل هؤلاء هم من ينبغي أن يكونوا رفقاء جلساء. وقد أحسن من قال:

إنَّ الطِّباع تَغلبُ الطِّباع فاخْتَرْ لنفْسِك الذي أَطَاع

وقال الشاعر:

عن المرْء لا تسأل وسَلْ عن قرينه

فكل قرينٍ بالمُقارَن يَقتَدي

وقال علقمة بن لبيد في وصية لابنه: "يا بُنَيَّ: إن نزعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاختر من إذا صاحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة أعانك، وإن رأى منك حسنة عَدَّها، وإن بدت منك ثُلْمَةٌ سدَّها". وهذا ما أرشدت إليه السنة النبوية الشريفة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(4). ففي الحديث دعوة إلى التأمل بعين بصيرة إلى من تريد صحبته وصداقته، فإذا رضيت دينه وخلقه فذلك المبتغى، عندئذ يتقاسم معك همومك وأحزانك، ويكون عونا لك على أمر دينك ودنياك، وإن ألفيت غير ذلك فتجنبه وتنكب عنه، حتى لا تتبع طريقته وسيرته، فتتحول الصداقة إلى عداوة.

وصدق من قال:

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين

فالمرء منسوب إلى القرين

وقال آخر:

أنت مُقاس بالذي اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلُو وتَنَلْ ذكرا جميلا

وبناء على هذا فخير الجلساء والأخلاء والأصحاب من يذكرنا بالله إذا رأيناه، وتنفعنا في الحياة حكمه وتصرفاته، وتعيننا على الطاعة نصائحه وسيرته، فهمته علو المجد، وشيمه الوفاء والحياء والعفاف والكرم.

من ثمرات الرفقة الصالحة امتداد بركتها واستمرار أثرها إلى يوم القيامة: قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(5). قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ﴾ يريد يوم القيامة، ﴿بعضهم لبعض عدو﴾؛ أي أعداء، يعادي بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، ﴿إلا المتقين﴾ فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة. قال معناه ابن عباس ومجاهد وغيرهما(6). ذكر أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت 427هـ). في هذه الآية، قائلا: "كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحدُ المؤمنَيْن فقال: يا رب، إن فلانا كان يأمرني بطاعتكَ وطَاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، يا رب فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: ليُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه، فيقول يا ربِ، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب كان. قال: ويموت أحد الكافرَيْن فيقول: يا رب، إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت، فيلعن كل واحد منهما صاحبه"(7). إذن فالصحبة الصالحة تدوم ثمرتها ويستمر خيرها ونفعها دنيا وأخرى، وهذا ما حصل للمؤمنَيْن الذين كانت صحبتهما مبنية على طاعة الله ورسوله والنصح والإرشاد والعمل بما يرضي الله ورسوله، والاستعداد للقاء الله، فكان كل واحد منهما نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب. بخلاف الكافرَيْن الذين كانت علاقتهما أساسها اتباع الهوى والبعد عن نهج الله وشرعه القويم، فكانت الثمرة هي لَعنُ بعضهما بعضا، وعداء بعضهما بعضا في الآخرة. فكان أحدهما للآخر بئس الصاحب والأخ والخليل. ولهذا قيل:

وصاحب خيار الناس تنجو مُسَلَّمًا

وصاحب شرارَ الناس يوما فتندما

وقال الشاعر:

واحذر مؤاخاةَ الدَّنِيء

لأنه يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجرَبُ

واختر صديقك واصطفيه تفاخرا

إن القرين إلى المُقارن يُنْسَبُ

من ثمرات الصحبة الصالحة كَسْبُ العبد محبَّة الله ونيل رضاه:

من ذلك ما ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال للرجل الذي قال له إني أحبك في الله، قال له معاذ رضي الله عنه أَبْشِرْ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال اللهَ تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»(8). نعم، إن محبةَ الله تشمل العاملين بطاعته، والمتعاونين على امتثال أوامره، وإن تفرقت أبدانهم وتباعدت دورهم، كما أنهم يزورون بعضهم بعضا لا لشيء، إلا أن محبة الله هي التي تجمعهم على تلاوة كتابه ومدارسة سنة نبيه، فيذكرون نعم الله وآلائه، ويبذلون أموالهم لله، فيكسبون محبة الله، ومن أحبه الله، أحبه العباد بفضل محبة الله له، فما أجمل الصحبة التي تكون لله وعلى محبة الله.

وصدق الشاعر حين قال:

سألت الناس عن خل وفيٍّ ... فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

تمسك إن ظفرت بودِّ حُرٍّ ... فإن الحُرَّ في الدنيا قليلُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»(9). فما أجمل مثل هذه الصداقة!، وما أروع هذه الزيارة!، التي تتنزل في طريقها الملائكة، تبشر الزائر بأنه محفوف بمعية الله، ومحبته إياه، ومشمول برحمته ورضاه.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(10).

نستنتج من خلال ما سبق، أن صحبة الصالحين، تعين الذاكرين، وتذكر الغافلين، وتنير طريق المؤمنين، وتجعل الإنسان مرتبطا بالرحمن، طاردا للشيطان، كما تورث محبة المنان، فما أحوجنا إلى صحبة الأخيار، ومجالسة الأبرار، ومجانبة الأشرار، الذين حذر من صحبتهم النبي المختار، لنيل رضى الرحمن، فنسأله سبحانه الخير الوفير، والأجر الكثير، في الدنيا، ويوم المصير، آمين آمين، والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم.

---

1 - صحيح مسلم: باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء. ج 4 ص 2026.
2 - سنن الترمذي : باب ماجاء في حق الجوار، ج 4 ص 333.
3 - مسند أبي يعلى الموصلي: ج 4 ص 326.
4 - سنن الترمذي: ج 4 ص 167.
5 - سورة الزخرف: الآية 67.
6 - الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبي، ج 16 ص 109.
7 - الجامع لأحكام القرآن : للإمام القلرطبي، ج 16 ص 109/ 110.
8 - موطأ مالك: ج 2 ص 953، باب ماجاء في المتحابين في الله.
9 - صحيح مسلم: باب في فضل الحب في الله، ج 4 ص 1988.
10 - صحيح مسلم: باب الأرواح جنود مجندة، ج 4 ص 2031.

ذ. علي السباع

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا
■ داخل المغرب : 60 درهم
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)
رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :
جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،
فاس - المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627-1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

الاقتداء بالرسول ﷺ سبيل الحياة الطيبة

إن الاقتداء بالنبي ﷺ من مقتضيات الإيمان، قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري عن أنس)، لذلك كان رسول الله ﷺ قدوة لنا في جميع مجالات الحياة، قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: 21)، ولن نتمكن من الاقتداء دون معرفة أخلاقه وحياته وسيرته ﷺ، فسيرته مجلية لشخصيته الكريمة وأخلاقه العظيمة.

إن دراسة سيرة الرسول ﷺ تجلي لنا خلقه العظيم، وتمدنا بمجالات الاقتداء، وتصور لنا حقيقة الحياة الطيبة القائمة على الإيمان بالله والاتباع لرسوله ﷺ.

وسأحاول بيان ما تيسر من خلقه العظيم ﷺ، ثم بيان بعض مجالات الاقتداء، ثم آثار ذلك في تحقيق الحياة الطيبة.

أولا: من خلقه العظيم ﷺ.

لقد كان رسولنا الكريم ﷺ على منزلة عظيمة من الخلق بينها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: 4)، فكان خلقه ﷺ سببا في إسلام كثير من الناس، حيث أعجب بأخلاقه الصغير والكبير والرجل والمرأة والحر والعبد؛ لأنه ﷺ كان يعامل الناس برفق ولين ويتحمل ويصبر ويعفو ويصفح، فملك قلوب الناس وعقولهم.

وهذه نماذج من أخلاقه ﷺ:

1 - **صبره** ﷺ: إن صور صبره ﷺ كثيرة ومتنوعة بتنوع المواقف والأحداث، فقد صبر ﷺ على الاضطهاد والتعذيب، كما صبر على الإيذاء والتجويع، وصبر على السخرية والاستهزاء الذي لحقه من قومه، ولم يكن هذا الصبر خلال ساعات أو لحظات، بل امتد طيلة الثلاثة عشر عاما التي قضاها في مكة، لذلك سأختار قصة صبره على الجوع نظرا لكثرة النماذج والمواقف التي تجلي صبره ﷺ:

أخرج أبو نعيم في الحلية والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي جالسا فقلت يا رسول الله أراك تصلي جالسا فما أصابك؟ «قال الجوع يا أبا هريرة»، فبكيت، فقال: «لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا»".

2 - **رحمته** ﷺ: عرف رسول الله ﷺ بخلق الرحمة في جميع أعماله، ومع جميع الناس حتى الأعداء؛ عاملهم الرسول ﷺ بخلق الرحمة، بل رحمته شملت حتى الحيوان والنبات، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم...﴾ (آل عمران: 159). وقد يفقد الرحماء رحمتهم في مواقف وأحداث تقتضي القسوة والانتقام، لكن رسول الله ﷺ يتعرض لأصناف من الأذى والقسوة فيقابل ذلك بالعفو والصفح رحمة بقومه ورجاء في إسلامهم، فقد آذاه أهل الطائف وضربوه فصبر وتحمل وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

ويشعر بالرحمة ﷺ عند فراقه لولده إبراهيم، وتدمع عيناه فيقول له عبد الرحمان بن عوف: "أي رسول الله هذا الذي تنهى الناس عنه متى يرك المسلمون تبكي يبكوا، قال: «إنما هذا رحم وإن من لا يَرحم لا يُرْحَم، إنما أنهى الناس عن النياحة وأن يندُبَ الرجل بما ليس فيه»".

ولم تقتصر رحمته ﷺ على الإنسان بل شملت الحيوان أيضا، فكان أرحم الخلق به، ينهى عن تعذيب الحيوان واتخاذه للهو والعبث، ويأمر من يريد الذبح أن يحسن الذبح رحمة بالحيوان.

3 - **حلمه** ﷺ: كان رسول الله ﷺ أحلم الناس، يعفو عن الجاهل، ويصفح عن قومه لما آذوه، ولا ينتقم لنفسه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله" (رواه أحمد).

4 - **كرمه** ﷺ: أما كرمه ﷺ فقد فاق كل كرم، كان أجود بالخير من الريح المرسلة، أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة".

وكان رسول الله ﷺ لا يرد سائلا، فعن جابر بن عبد الله قال: "ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا". وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فقد "أتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة". (رواه أحمد).

5 - **تواضعه** ﷺ: من تواضعه ﷺ مساعدة أهله في أعمالهم، كان لا يتميز عن أصحابه بموضع ولا بمكان مرتفع، وكان يكره الإطراء والألقاب، وإذا تصدق وضع الصدقة بيد المسكين، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس، وكان يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته بنفسه ويقول: «أنا أولى بحملها».

ثانيا: نماذج في مجالات الاقتداء.

تعرفنا في المحور الأول على بعض من أخلاق الرسول ﷺ كالصبر والحلم والكرم، ونحاول أن نجلي هذه الأخلاق وغيرها في مجال من مجالات الحياة للاقتداء به ﷺ؛ لأنه القدوة في كل المجالات، والأسوة لكل الأفراد والجماعات، وهو النموذج الذي ينبغي أن يحتذى به في كل الوظائف والمؤسسات من أجل تحقيق الحياة الطيبة.

1 - الاقتداء به ﷺ في عبادته وزهده:

فقد كان ﷺ عابدا متقربا إلى الله بكل الطاعات والقربات الشاملة لجميع مجالات الحياة من تربية وتعليم وبر وصلة وصدقة ومواساة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر...

ولم يكن في عبادته غلو ولا رهبة، بل اتصف بالتوازن والاعتدال واليسر ورفع الحرج والمشقة، قال ﷺ: «صلوا نشاطكم فإن الله لا يمل حتى تملوا»، وقال أيضا: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا».

2 - الأب الرحيم والزوج الحكيم:

كان رسول الله ﷺ أبا رحيما يشفق على أبناءه وأبناء الصحابة جميعا، يقبلهم ويلعب معهم، ويحرص على تعليمهم: «يا غلام سم الله...»، وكان يعين أهله ويقضي حاجاتهم بنفسه، وكان لا يضرب خادما ولا يعنفه، ولا يحمله من الأشغال أكثر من طاقته.

وكان رسول الله ﷺ زوجا ودودا حكيما، يعدل بين الأزواج، ويوصي بالنساء خيرا، ويجعل الخيرية في إكرام الأهل، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

3 - المعلم والمربي القدوة:

لقد أسس النبي ﷺ لقواعد العلم وأساليب التربية، وأخرج أمة اتصفت بالعلم والتربية وحسن الخلق، فمن الأساليب التربوية النبوية لتعليم الأجيال وتقديم القدوة ما يلي:

أ – **التربية بالقدوة**: فهو ﷺ القدوة لأصحابه يرون فيه النموذج والمثال الذي يحفزهم على العمل والاستجابة لما يطلبه منهم.

ب – **الحوار والمناقشة**: وهو أسلوب تربوي مؤثر ومشوق للمتعلم، فمرة يسألهم ﷺ عن الجار، وأخرى عن المفلس، أو من المسلم؟...

ج – **الموازنة العقلية وضرب الأمثلة**: وهي من الأساليب التربوية التي تقرب المعلومة من المتلقي وتحل إشكالاته، ويقبل النصيحة عن اقتناع، ومن أمثلة ذلك معالجة إشكالية الرجل الذي طلب من الرسول ﷺ الإذن في الزنا، وكيف تدرج معه النبي ﷺ في الإقناع بترك الزنا،...

ثالثا: الاقتداء بالرسول ﷺ سبيل الحياة الطيبة.

إن الاقتداء بالنبي ﷺ يحقق للمسلم الحياة الطيبة القائمة على رضا الله تعالى وتوفيقه ونيل الدرجات في الدنيا والآخرة، وهذه بعض الفوائد والنتائج التي يجنيها العبد المقتدي برسول الله ﷺ:

1 - **نيل محبة الله تعالى**: قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (آل عمران: 31).

2 - **الهداية والفلاح**: قال الله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (آل عمران: 132).

3 - **الفوز بالجنة**: قال النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (رواه البخاري).

4 - **النجاة من الزيغ والضلال**: قال النبي ﷺ: «قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

5 - **تحصيل مكارم الأخلاق**: التي تجمع معنى الصلاح والخير كله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (أخرجه أحمد).

فما أحوجنا إلى الاقتداء بالنبي ﷺ في كل المجالات لتحقيق الحياة الطيبة، وإن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة سيرة نبينا الكريم والاقتداء به في أخلاقه: في صبره، في كرمه، في حسن خلقه، لنرتقي بالأفراد والجماعات والمؤسسات إلى الحياة الطيبة الكريمة.

د. حميد السراوي

عبر

د. منير مغراوي

نصائح راهب لعبد الواحد بن زيد

حدثنا عبد الواحد بن زيد، قال: مررت براهب فناديته: يا راهب، من تعبد؟ قال: الذي خلقني وخلقك. قلت: فعظيم هو؟. قال: عظيم المنزلة، قد جاوزت عظمته كل شيء. قلت: فمتى يرزق العبد الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة. قلت: فمتى يصفو الود؟. قال: إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة. قلت: فمتى تخلص المعاملة؟. قال: إذا كان الهم هما واحدا. قلت: كيف تحليت بالوحدة؟. قال: لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك. قلت: ما أكثر ما يجد العبد من الوحدة؟. قال: الراحة من مداراة الناس، والسلامة من شرهم. قلت: بما يستعان على قلة المطعم؟. قال: بالتحري في المكسب. قلت: زدني؟ قال: كل حلالا وإن قل وارقد حيث شئت. قلت: فأين طريق الراحة؟ قال: خلاف الهوى. قلت: ومتى يجد العبد الراحة؟. قال: إذا وضع قدمه في الجنة. قلت: لم تخليت من الدنيا وتعلقت في هذه الصومعة؟. قال: لأنه من مشى على الأرض عثر وخاف اللصوص، فتعلقت فيها وتحصنت بمن في السماء من فتنة أهل الأرض، لأنهم سراق العقول، فخفت أن يسرقوا عقلي، وذلك أن القلب إذا صفا ضاقت عليه الأرض، وأحب قرب السماء، وأفكر في قرب الأجل، فأحب أن يوكل إلى ربه. قلت: يا راهب، من أين تأكل؟. قال: من زرع لم أبذره، بذره اللطيف الخبير، الذي نصب الرحا يأتيها بالطحين، وأشار إلى ضرسه. قلت: كيف ترى حالك؟ قال: كيف يكون حال من أراد سفرا بلا أهبة، ويسكن قبرا بلا مؤنس، ويقف بين يدي حكم عدل. ثم أرسل عينيه فبكى. قلت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت أياما مضت من أجلي لم أحقق فيها عملي، وفكرت في قلة الزاد، وفي عقبة هبوط إلى جنة أو إلى نار. ثم قال الراهب: يا هذا، كما لا يجوز الزائفة من الدراهم كذلك لا يجوز كلامهم إلا بنور الإخلاص، ثم قال: عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر، فإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته من السماء الفتوح. قلت: أكون معك يا راهب. قال: ما أصنع بك؟ ومعي معطي الأرزاق وقابض الأرواح يسوق إلي الرزق، ولم يقدر على ذلك أحد غيره، والسلام عليك.

خلق العفة وسبل التخلق به

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده...

أيها المسلمون: إن من كريم صفات المؤمنين المخبتين لرب العالمين العفة عن محارم الله: "وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه"، وإن الله ليغار أن يقع العبد في محارمه.

قال ابن منظور: "العفة الكف عمّا لا يحل ويجمل، وهي النزاهة. وتحدث الشيخ الماوردي عن العفة، ومما قاله: "فأما العفة عن المحارم فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كف اللسان عن الأعراض، فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معَرّةٌ فاضحة وهتكة واضحة"، وقد أثنى الله تعالى على من حفظ فرجه فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: 1-7).

وبعد بيان فضل العفة يمكن القول: إن الإسلام نظام متكامل، فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء. فلا يلجأ إلى الفاحشة حينئذ إلا الذي يعرض عن الطريق النظيف الميسور عامدًا غير مضطر. فقد أمر الله سبحانه بأوامر وسن سننًا وشرائع؛ من تمسك بها عفّ ونجا، ومن أعرض عنها فهو الذي ساق نفسه إلى سبيل الغواية والفاحشة.

ومن ذلك أنه تعالى أمر بغض البصر فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: 29-30)، فغض البصر عن النظر في الحرام هو أول سبيل للتخلق بخلق العفة، ومن أطلق عينه في النظر إلى ما حرم الله سواء مباشرة أو من خلال أية وسيلة أخرى من وسائل العهر فقد خدش عفته، ومن أطال النظر فيما حرم الله عليه أدى به الأمر إلى نحر عفته، واتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى.

عباد الله:

الإسلام يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، وهو لا يحارب الدوافع الفطرية، ولكن ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة. فطلب العفاف أمر مشروع طلبه النبي ﷺ فقال: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى» (رواه مسلم).

والإسلام يهدف كذلك إلى إقامة مجتمع نظيف، طاهر قائم على التخلق بالعفة والعفاف؛ لأن إطلاق العنان للشهوات دون ضوابط يؤدي إلى الوقوع في الرذائل الحيوانية، والتي تكون من نتائجها حياة حيوانية فوضوية غير إنسانية، فأحرى أن تكون إسلامية إيمانية.

فتنتشر الأمراض المختلفة، كالأعصاب والعقد النفسية والأمراض العضوية المزمنة الفتاكة التي يصعب علاجها، فيعيش المصاب بذلك في عذاب دنيوي ثم بعد ذلك عذاب أخروي إذا لم يتب.

ومن وسائل الإسلام في إنشاء مجتمع نظيف: الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليمًا، وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وتصريفه بطرق عفيفة مأمونة طاهرة نظيفة.

إن إطلاق البصر من أجل النظر إلى ما حرم الله سواء من الرجال أو النساء ينتهي إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا حينما يعود إلى الظمأ والاندفاع. الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل طبيعي في البشر بهدف تحقيق الارتباط الطبيعي المشروع عن طريق الزواج وليس بواسطة الأساليب الشيطانية المغرية، لاستمرار النسل وتحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض.

أيها المسلمون: غض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على محارم الله، وهو إغلاق لمنافذ الشيطان ووساوسه تجنبا للإصابة بسهامه المسمومة. وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر، وتحكيم الإرادة، ويقظة الرقابة، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى، إذ غض البصر سبب، وحفظ الفرج نتيجة، وقد وعد رسول الله ﷺ من غض بصره بأجر عظيم فقال: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله» (حسنه الألباني).

ومن أسباب العفاف -يا عباد الله- الزواج؛ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»، وهنا دلّ النبي ﷺ الشباب على العلاج الناجع، فمن قدر على الزواج فليبادر إليه، ومن لم يقدر فعليه بالصوم فإنه يضيّق مسالك الشيطان، ولكن لا ينفع الصيام من بات على المسلسلات وكلمات الهوى والغرام عبر الأغاني بأصوات أشباه الرجال والإناث، إن الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة.

ومن لم يستطع الزواج فالعفة هي طريقه في الدنيا حتى يدخل جنة ربه؛ قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور:33).

وقد وعد النبي ﷺ من تزوج يريد العفاف بالعون من الله تعالى فقال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف» (حسنه الألباني).

وقد حث الله تعالى حتى كبيرات السن على العفة فقال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 60)، فهؤلاء القواعد لا حرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية، على أن لا تنكشف عوراتهن ولا يكشفن عن زينة، وخير لهن أن يبقين كاسيات بثيابهن الخارجية الفضفاضة، وسمى هذا استعفافًا، أي طلبًا للعفة وإيثارًا لها، لما بين التبرج والفتنة من صلة وبين التحجب والعفة من صلة، وذلك حسب نظرية الإسلام في أن خير سبل العفة تقليل فرص الغواية، والحيلولة بين المثيرات وبين النفوس. وقد قيل: الشهوة مغتالة مخادعة، وقيل أيضا: عبد الشهوة أذل من عبد الرق. وكان سفيان الثوري يربي أصحابه فيقول لهم: "إن أول ما نبدأ به في يومنا عِفّةُ أبصارنا".

عباد الله: العفة من أسباب دخول الجنة والفوز بمرضاة الله تعالى؛ قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ ومنهم: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله»، وينقل لنا رسول الله ﷺ نزول رحمة الله على من عفّ عن محارم الله فقال: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال من النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها، قالت يا عبد الله: اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج لنا منها فرجة، ففرج لهم» (رواه مسلم).

قال ﷺ: «من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه، دخل الجنة» (صححه الألباني).

اللهم قنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، آمين أقول ما سمعتم وأستغفر الله العظيم...

الخطبة الثانية:

عباد الله: لقد قص الله تعالى علينا في كتابه الكريم قصة طريفة في خلق العفاف والعفة وهي قصة يوسف عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ (يوسف: 23-25).

إن الصورة التي أمامنا هي صورة شاب مكتمل الشباب والنضارة قد دعته سيدة، وهذه الدعوة السافرة الوقحة لا تكون إلا بعد دعوات كثيرة، وإن المتأمل لنفسية الأنثى ليعلم أن هذه المرأة قد حاولت إغواء يوسف مرة بعد مرة، وكان هو يتجاهل مثل هذه الدعوات ويفر منها بدينه وعفته، ولكن بلغ الهوى منها مبلغًا جعلها تعرض نفسها وهي السيدة بكل وقاحة وبشكل فج غلظ، ففر يوسف بدينه ونجا لأنه التجأ إلى رب رحيم، رب لا يتخلى عمن يمرغ وجهه بين يديه في حال الرخاء. ولكن المصيبة تكبر وتأخذ حيزًا أضخم، فبعد أن سمع نساء القصر أن زوج كبير الوزراء هامت عشقًا ورمت نفسها بين أحضان أحد العمال، أردن أن يرين هذا الشاب، فقلن عبارات وحرصن على أن تصل لهذه المرأة لعلها أن تريهن هذا الشاب: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، فهنا محنة أخرى واستعفاف آخر، فنساء الوزراء والكبراء كلهن يردن يوسف أن يقع عليهن، فلم تعد امرأة العزيز فقط: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: 30-33).

فما الذي جعل سيدنا يوسف عليه السلام يفضل العفة على الارتماء في أحضان الرذيلة؟ إنها خشية الله ومراقبته وخوفه من رب العالمين. وحبه لله تعالى وتفضيله ما عند الله جل جلاله، على ما عند غيره.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته ويمن علينا بفضله ويقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه قريب سميع مجيب الدعاء. اللهم يا مثبت القلوب... ووفق اللهم عاهل البلاد...

د. احميد عبد اللطيف

قال الله تبارك وتعالى:

وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ

النور: 33

والإسلام يهدف كذلك إلى إقامة مجتمع نظيف، طاهر قائم على التخلق بالعفة والعفاف؛ لأن إطلاق العنان للشهوات دون ضوابط يؤدي إلى الوقوع في الرذائل الحيوانية، والتي تكون من نتائجها حياة حيوانية فوضوية غير إنسانية، فأحرى أن تكون إسلامية إيمانية

إعداد المعلم المربي

ليس الاهتمام بأمر المعلم جديدا في عصرنا هذا، بل كان محل عناية فائقة، من طرف الأجيال التي سبقتنا إلى مسرح الحياة، حيث شعرت بأهمية المعلم في المجتمع، وخطورة مأموريته في الأمة، والدور الخطير الذي يتحمله في نقل التراث الثقافي، وفي ترقية بني الإنسان، وكانت عناية الأقدمين بالمعلم عناية خاصة، كان يتمتع في الأوساط الشعبية باحترام وتبجيل، وإن أولى الناس بهذا التبجيل والاحترام هو المعلم، وكثيرا ما كان الناس يرددون مع الشاعر أحمد شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيـــلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف وأجل من الذي
يبـني أنـفسا وعـقـــولا

إن الاعتناء بإعداد المعلم، إعدادا ثقافيا ومهنيا يضمن له مركز الصدارة كمواطن يشغل منصبا حيويا وإيجابيا، يساهم في رقي الأمة، وييسر له القيام بالمهمة التي اختارها لنفسه باقتناع منه، ضامنا بذلك نتائج حسنة ومردودية جيدة، ولقد بدأ الاهتمام بإعداد المعلم من هذه النواحي، منذ الاستقلال، وهناك جوانب أخرى لا بد أن تتوفر في كل معلم، وهي الناحية الخلقية التي يجب أن يتحلى بها المعلم، وكذلك لا بد أن تكون له استعدادات طبيعية تجاه المهنة التي اختارها، إلى جانب ثقافة إسلامية علمية عامة، ومهنية خاصة يستطيع معها التصرف في المواقف التعليمية التي تعترضه، والتوفيق في حل المشكلات التي تنشأ له داخل المدرسة وخارجها.

المعلم الناجح هو الذي يستطيع الاستفادة من المعلومات العامة، والخبرة المكتسبة، مكيفا نفسه طبقا لحاجات الأمة التي ينتمي إليها، عاملا على إعداد ناشئة صالحة، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا كانت له حرية النقد البناء النزيه، وإبداء الرأي الصائب فيما يتصل بمهمته سواء أكان منهجا أو طريقة تربوية، أو إعدادا مهنيا، وليست مراكز تكوين المعلمين إلا صورة لإعداد المعلمين المربين، الذي يعلمون الناس الخير، قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض حتى النمل في جحرها، وحتى الحيتان في جوف البحر ليصلون على معلمي الناس الخير» (الترمذي).

يتفاوت مقدار اهتمام كل أمة بإعداد المعلم، والسهر على تكوينه إلى درجة نضجها الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وحاجاتها وأهدافها التعليمية، فكلما بعدت الغاية في التعليم ازدادت العناية بالمعلم، وكلما قرب الهدف وكانت في حاجة ملحة إلى عدد من المعلمين، إلا وتبسطت الوسائل إلى حد كبير، ويمكننا أن نطبق هذا على مجتمعنا المغربي، فهو في حاجة إلى عدد كبير من المعلمين المكونين، وعدد من المدارس، وإلى سياسة تعليمية تهدف إلى التكوين الفعلي الهادف لمدة سنة كاملة على الأقل.

المربون -في العملية التربوية- قبل المادة، وقبل الطريقة اللتان لا تجديان نفعا، إذا لم يكن المعلم المربي ملما بأساليب التربية الخاصة والعامة، وعلم نفس الطفل؛ لأن هذا هو المعين الأساس له في عملية التدريس، والتعامل مع الطفل الذي يعتبر المادة الخام في العملية التربوية، أما أن تسند مهمة التدريس لشخص لا معرفة له بطرق التدريس، ولم يخضع لتكوين -ولو كان من خريجي الجامعة- فإن ذلك لا يجدي نفعا ولا يلبي أهداف مدرسة النجاح والجودة، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الغاية من التكوين وماهيته فهو: ثقافة علمية عملية مهنية تنبني على معلومات المعلم النظرية، فتتكون عنده مجموعة من الخبرات تعينه على تأدية مأموريته في المستقبل بإخلاص وإتقان وثقة النفس، ويستطيع المعلم بواسطة التكوين، أن يتعرف على نوع العمل الذي سيقوم به، ونوع الأشخاص الذين سيتعامل معهم، وهو بهذا ليس مقتصرا على معرفة الطريقة (المنهجية) فحسب بل يتعدى ذلك إلى معرفة تامة بالأطفال أنفسهم، حتى يستطيع أن يعاملهم على أساس خصائصهم النفسية، ومراحل نموهم من الناحيتين البيولوجية والاجتماعية، مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، وعلى أساس ذلك يهيئهم ليصبحوا أفرادا قادرين على مسايرة الحياة وسط بيئتهم ومجتمعهم، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت المواد الدراسية ووسائل التعليم لها ارتباط وثيق بالمهنة، ومأخوذة من صميم هويتهم الدينية والثقافية، وبيئتهم الطبيعية الاجتماعية، فمراكز تكوين المعلمين هي المسؤولية عن ذلك، ولذا كان لزاما عليها أن تزود المعلم المتدرب بمعلومات مهنية صحيحة ومواد دراسية صالحة حتى لا يتعارض ذلك مع تقاليدنا وعاداتنا ولغتنا العربية القحة الموروثة السليمة، فالمعلم في بلدنا -اليوم- يجد نفسه وسط تيارات فكرية حديثة، التي يتلقاها نظريا، لا علاقة لها بموروثنا الثقافي وهويتنا الدينية.

إذا كانت مراكز تكوين المعلمين من جهتها تكون المعلم نظريا وتطبيقيا إلى حد ما، فإن المعلم الكفء الذي يؤمن برسالته السامية، يعمل على جعل المنهاج الدراسي -دون الإخلال بمقررات الوزارة الوصية- ملائما لروح شريعتنا السمحة، ومتطلبات المجتمع المغربي المسلم، فعلى المعلم من جهته أن ينتقي من الطرق والوسائل أنجعها، وأن يجعلها متنوعة ومسايرة في نفس الوقت مع التكوين الذي تلقاه، ويستطيع المعلم تجديد طرقه على أساس خبرته السابقة، والاطلاع الدائم على ماجد، حتى يضمن إيصال المعلومات تامة جيدة، و لابد أن تكون الوسائل المادية و اللغوية والتوجيهات إسلامية، للوصول إلى غايات وأهداف إسلامية، فإن الذي يريد رضا الله تعالى بصدق، لا يعصي الله في الوسيلة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: 27)، وعلى المعلم المربي أن يبتعد عن كل ما لا يفهمه الطفل وما لا صلة له ببيئته ومجتمعه، ومما يفسد أخلاقه ولا ينفعه، قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم» (أبو داود). وينبغي للمعلم أن يدرك أن المتعلمين أمانة عنده، وأنهم يتخذونه مثلا لهم، وأنهم يرون أن كل قول أو عمل يصدر منه صواب يقلدونه فيه، قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: 106).

ذ. أحمد حسني

نصـــوص الإعجـــاز القرآنـــي (6)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص ربَّن الطبري (بعد 260هـ))

(2)

«وقد يحتَجُّ علماء أهل الذمة بأن النبي ﷺ كان أميا، وأن الله لا يبخل على أنبيائه برسم الكتابة؛ إذ كان أحسن ما اختصهم به، وأقل ما علَّمهم من غيبه وآياته. والجواب فيه أن الله تعالى خصّ كلا منهم بما رأى جل وعز، فمنهم الخطيب البارع مثل داوود، ومنهم التمتام والألثغ مثل موسى، ومنهم من أحيا الميت دون غيره، ومنهم من فلق البحر من الصخر وينابيع المياه ولم يُعط ذلك غيره. ومنهم حكيم كاتب مثل سليمان، ومنهم أمي مثل داوود؛ فإنه قال في زبوره: «من أجل أني لم أعرف الكتابة»، فلم يُزْر ذلك به كما أنه لم يُزْر بالمسيح أن لا يكون ملاعبَ الأسنة أو مِن رماة الحَدَق، أو لا يكون ماسحا ولا مهندسا.

وكما أنه لم يزْر بموسى أن لا يكون لسنا خطيبا أو ماشيا عَلى الهواء، وأن لا يكون أبرأ الأكمه والأبرص، وأن لم يزْر به وبداوود ونظرائهما عليهم السلام أن لا يكون الله رفعهما إلى السماء كما رفع غيرهما، فليس لقائل أن يقول بَخِلَ على فلان النبي بما جاد به لفُلان النبي؛ بلَ قائل ذلك مُعاند مارد.

أما نرى أنه لم يُعَبْ شمعون الصفا ولا متّى ولوقا وتلامذة المسيح عليه السلام بأن يكونوا بلغوا مدى فولوس في بلاغته وبيانه.

وكذلك النبي ﷺ لم يَشنه أنه أميّ مثل داود؛ بل جعل الله ذلك آية باهرة وحجة على من كفَر به من قومه؛ إذ كان قد صح عند الأمم وأهل الذمة أنه لم يجئ بهذا القرآن بفضل بيان أو حكمة أرضية. ولقد كان عليه السلام موجزا في كلامه، نَزُورا، يذم المكثار المهذار، ويترسلَ في القول...

فالأمية التي عابه بها أهل الذمة غير مزرية به ولا عاتبة؛ بل حجة وبرهان منير. فلو جاء بمثل هذا الكتاب الذي قد وصفْته رجل أديب خطيب لكان كذلك آية من الآيات، فكيف إذا جاء به رجل بدوي أمي، فإن ذلك يشهد له أن الله أنطقه، وروح القدس سدده له وأعانه عليه».

[الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، ص: 98-107]

(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276 هـ))

(1)

«الحمد للّه الذي نهج لنا سبل الرّشاد، وهدانا بنور الكتاب، ﴿ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ (الكهف: 1) بل نزّله قيّما مفصّلا بيّنا ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42) وشرّفه، وكرّمه، ورفعه وعظّمه، وسماه روحا ورحمة، وشفاء وهدى ونورا. وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حيل المتكلّفين، وجعله متلوّا لا يُملّ على طول التّلاوة، ومسموعا لا تمجّه الآذان، وغضّا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول اللّه، ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199) كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين. وفي الأمر بالعرف تقوى اللّه وصلة الأرحام، وصون اللّسان عن الكذب، وغضّ الطّرف عن الحرمات.

وإنما سمّي هذا وما أشبهه عرفا ومعروفا؛ لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئنّ إليه.وفي الإعراض عن الجاهلين: الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السّفيه، ومنازعة اللّجوج. وقوله تعالى إذ ذكر الأرض فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها﴾ (النازعات: 31) كيف دلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر، والحب والثمر والحطب، والعصف واللّباس، والنّار والملح، لأن النار من العيدان، والملح من الماء. وينبئك أنه أراد ذلك قوله: ﴿مَتاعاً لَكُمْ ولِأَنْعامِكُمْ﴾ (النازعات: 33). وفكّر في قوله تعالى حين ذكر جنات الأرض فقال: ﴿يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ (الرعد: 4) كيف دلّ على نفسه ولطفه، ووحدانيته، وهدى للحجّة على من ضلّ عنه؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتّربة، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم، ولا يقع التّفاضل في الجنس الواحد، إذا نبت في مغرس واحد، وسقي بماء واحد، ولكنّه صنع اللطيف الخبير. ونحو قوله: ﴿ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والْأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوانِكُمْ﴾ (الروم: 22) يريد اختلاف اللّغات، والمناظر، والهيئات. وفي قوله تعالى: ﴿وتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ (النمل: 88) يريد: أنها تجمع وتسيّر، فهي لكثرتها كأنها جامدة واقفة في رأي العين، وهي تسير سير السحاب. وكل جيش غصّ الفضاء به لكثرته، وبعد ما بين أطرافه، فقصر عنه البصر، فكأنه في حسبان الناظر واقف وهو يسير. وفي قوله جلّ ذكره: ﴿ولَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾ (البقرة: 179) يريد أن سافك الدّم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهمّ بالقتل، فكان في القصاص له حياة وهو قتل. وأخذه الشاعر فقال:

أَبْلِغْ أبا مالكٍ عنّي مغلْغلةً
وفي العتاب حَياةٌ بيْنَ أَقْوام

يُريد أنّهم إذا تعاتَبوا أصْلَحَ ما بَينهم العتابُ فكفّوا عن القتل، فكان في ذلك حياة. وأخذه المتمثّلون فقالوا: «بعض القتل إحياء للجميع». وقالوا: «القتل أقلّ للقتل».

[تأويل مشكل القرآن، ص: 3-7]

د. الحسين زروق

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (10\4)

العناية بالإنسان في التشريعات الإسلامية

استكمالا لإبراز مظاهر الإحكام التشريعي والإعجاز الإلهي في التشريعات الإسلامية، وأثر ذلك في بناء المجتمع الإسلامي صاحب الرسالة، المثالي في سلوكه وحركته نقف في مقالنا هذا مع قضية محورية هي عناية التشريع بالإنسان في كافة جوانب شخصيته، والسبب في هذه العناية أن الإنسان هو العامل الأول في الفعل الحضاري والعمراني، لذا قالوا بضرورة العناية بالإنسان قبل البنيان. قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: 30). وفيما يلي بعض مظاهر التشريعات الإسلامية في العناية بالإنسان المسلم.

- إبعاد المسلم عن مواطن المِنَّة عليه:

يحافظ الإسلام في تشريعاته على كرامة المرء وعزة نفسه فلا يرضى له أن يوضع في مواضع يكون لغيره عليه فيها مِنَّة، نلمس ذلك في صور تشريعية في أبواب فقهية عديدة، منها على سبيل المثال قول الفقهاء -رحمهم الله تعالى- في وجه فقهي معتبر بعدم لزوم المرء قبول بذل الماء من الغير في الطهارة بغير عوض؛ لأن عليه منة في قبول الماء. (البيان في شرح المهذب للعمراني: 292/1). وقالوا: لو ادعى رجل على رجل دينا، فقال له رجل: أنا أدفع إليك الدين الذي تدعيه عليه، ولا تخاصمه، لم يلزمه قبوله؛ علل ذلك ابن الصباغ: بأن عليه منة في قبول الدين من غير من هو عليه. (البيان: 176/7). وفي باب الجهاد نجد العمراني يقول قال الشيخ أبو حامد: إن كان العدو منه على مسافة لا تقصر إليها الصلاة.. فلا يجب عليه الجهاد حتى يجد نفقة الطريق، ولا يعتبر فيه وجود الراحلة. وإن كان بينه وبين العدو مسافة تقصر إليها.. فلا يجب عليه الجهاد حتى يجد نفقة الطريق والراحلة فاضلا عن قوت عياله؛ لقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾. (التوبة: 91). وقوله: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (التوبة: 92). فإن كان معسرا، فبذل له الإمام ما يحتاج إليه من ذلك.. وجب عليه قبوله ووجب عليه الجهاد؛ لأن ما بذله له.. حق له. وإن بذل له ذلك غير الإمام.. لم يجب عليه قبوله؛ لأن عليه منة في ذلك.

وهكذا نجد عشرات المسائل الفقهية تعليلها فقط هو"دفع المنة على المسلم، كي يتحرر من سلطان غيره عليه المشعر له بأي نوع من أنواع الانتقاص.

وأصل ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجرا قرشيا أو أنصاريا أو دوسيا أو ثقفيا» (رواه أبو داود). جاء في عون المعبود في التعليق على الحديث: قال التوربشتي رحمه الله: "كره قبول الهدية ممن كان الباعث له عليها طلب الاستكثار، وإنما خص المذكورين فيه بهذه الفضيلة لما عرف فيهم من سخاوة النفس وعلو الهمة وقطع النظر عن الأعواض" انتهى.

وهكذا تُخرج التشريعات الإسلامية إنسانا محفوظ الكرامة يعطي ولا يأخذ، ولا يقبل الدنية في أي شأن من شئون حياته، فاليد العليا خير من اليد السلفي.

- بناء الاستقامة النفسية:

تعمل التشريعات الإسلامية بجانب الوعظ والتذكير على بناء الاستقامة النفسية للفرد المسلم ليكون مستقيم السلوك، فلا تكتفي الشريعة بالوعظ المجرد في بناء نفسية المسلم وإنما تضبط سلوكه بأحكام تمثل تدريبا عمليا على تلك الاستقامة، وفي هذا السياق التربوي نرى جملة من الأحكام منها:

معاملته بنقيض قصده الفاسد، بحيث تقاوم في نفسيته التوجهات الفاسدة من جشع وتوسل بغير المشروع للوصول لشيء مشروع، وهذه سياسة تربوية في قمع بعض النفوس التي تستعمل الحيل الممنوعة فترتكب بها ما لا يحل، وأمثلتها كثيرة ومنها: "الفارُّ من الزكاة قبل تمام الحول بتنقيص النصاب أو إخراجه عن ملكه، إذا تجب فيه الزكاة. ومنها: لو صرف أكثر أمواله في ملك لا زكاة فيه كالعقار والحلي، عن من يقول بعدم الزكاة فيه، فهل ينزل منزلة الفارّ من الزكاة؟ وجهان عند الحنابلة والمالكية. ومنها الغال من الغنيمة يحرم أسهمه منها. على قول. ومنها من تزوج امرأة من عدتها من غيره حرمت عليه على التأبيد على رواية. ومنها: من تزوجت بعبدها فإنه يحرم عليها على التأبيد، كما روى عن عمر رضي الله عنه. ومنها: من ثبت عليه الرشوة لغرض ما فهو يحرم منه عقوبة له. ومنها: السكران يشرب الخمر عمداً، يجعل كالصاحي في أقواله وأفعاله فيما عليه" (الوجيز في إيضاح القواعد الفقهية للبورنو: 161).

وهكذا تقمع الشريعة بعض النفوس المملوءة بالشر الطامعة في حقوق الآخرين المتحايلة على الشرع، فاقتضت العناية التربوية بها أن نعظها لكن لا نتوقف عند مجرد الوعظ، وإنما تشرع لها الأحكام الضابطة المربية الحاملة لها على الاستقامة النفسية، ومتى تحققت تلك الاستقامة غدا هذا الإنسان صالحا لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالمين.

- قرن التشريعات بالأخلاق لبناء الإنسان الأخلاقي:

ليست التشريعات الإسلامية قوانين جامدة خالية من المعاني الروحية والأخلاقية، وإنما هي قوانين تعالج كافة جوانب الحياة الإسلامية وبخاصة الروحية والأخلاقية، مثال ذلك عقد البيع حيث يجب الإفصاح عن العيوب في المبيع وإلا أعطي الحق للمشتري في فسخ العقد، ومتى وقع ذلك الكتمان للبيوع ارتفعت البركة الإلهية، قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني" (108/4): "من علم بسلعته عيبا لم يجز بيعها حتى يبينه للمشتري، فإن لم يبينه فهو آثم عاص، نص عليه أحمد: لما روى حكيم بن حزام عن النبي ﷺ أنه قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما، وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما» (متفق عليه). وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا إلا بينه له» انتهى. ورصد ظاهرة اقتران الأخلاقيات بالتشريعات الإسلامية أمر يطول وتكفي الإشارة ليُعلم بها ما لم نشر إليه. وبالله التوفيق.

د. أحمد زايد

إيراث الجنة ووراثتها: دلالات ومقتضيات وغايات

تناولت الحلقتان السابقتان إيراث الله تعالى عبادَه شيئين: الكتاب والأرض وشروطه ونواقضه. ويستمر الحديث هنا في بيان إيراث الله تعالى عباده الجنة وشروطه.

أولا – في النصوص الدالة على ذلك:

ورد لفظ الجنة في القرآن الكريم غالبا مقرونا بالجزاء للمؤمنين، ومقترنة بأفعال الوعد والتبشير والإيراث، وكلها دالة على مقصودنا، إلا أنه إيثارا للاختصار نكتفي بما ورد مقترنا بمادة ورث ومشتقاتها ونقتصر على الشواهد الآتية تمثيلا لا حصرا:

1 – ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر: 74).

2 – ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: 72).

3 – ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: 63).

4 – ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون :1–11).

ثانيا – شروط إيراث الجنة ووراثتها:

لما كان إيراث الجنة في القرآن الكريم جزاء عن فعل، فدل أن الجزاء بمثابة المشروط الذي يقتضي شرطا، وهنا نجد الآيات التي ورد فيها إيراث الجنة لم ترد مجردة عن بيان سبب الإيراث كما هو في الآيات الأربع آنفا وأهمها:

• الإيمان والتقوى:

وهما شرط أساس في إيراث الأرض وإيراث الجنة:

قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين..﴾، فالآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون بينت بجلاء أن إيراث الله الجنة مشروط بتحقق أول صفة هي صفة الإيمان، وليس الإيمان بمعنى المعرفة فقط، وإنما الإيمان الذي يصدقه العمل.

وفي شرط التقوى قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: 63)، ليبين جل وعلا أن معيار دخول الجنة هو التقوى، وهو معيار يجمع بين دفتيه الإيمان والعمل والحرص على فعل الأصلح والحذر من فعل ما يناقضه.

• العمل الصالح:

لفظ العمل في القرآن الكريم يرد حاملا معنى الصلاح، ومعنى الإتيان بالمأمور شرعا، ولا يكون إلا موافقا لما تقتضيه العقول السليمة والفطر القويمة، وقد عدَّ الله تعالى إتيان العباد للعمل الصالح أمارة توجب لهم إيراث الجنة ووراثتها: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر: 74)، وقال سبحانه: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (الأعراف: 43)، وقال ﷻ أيضا: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (الزخرف: 72)

وهكذا نلحظ أن إيراث الله تعالى الجنة لعباده مشروط بالعمل، ولا معنى للعمل هنا إلا العمل في الحياة الدنيا بما شرع الله تعالى وَوَفْقَ هدايات الكتاب الذي أورثهم الله تعالى وأمرهم بالعمل به وبإيراثه وتوريثه ليستمر الخير في الناس.

كما ورد شرط العمل على صيغة فعل المضارعة ﴿بما كنتم تعملون﴾، وصيغة اسم الفاعل؛ وهما صيغتان دالتان على ثبوت الاتصاف بالعمل ودوام استمرارهم عليه حتى صار حلية لهم وصفة لا تفارقهم.

لكن ما هي الأعمال التي إذا قام بها العباد كانت أمارة على صلاحهم؟

• نوع العمل الصالح الموجب لإيراث الجنة:

هذه الأعمال هي التي تبينها بتفصيل الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (المؤمنون :1–10).

وبالنظر في هذه الأعمال التي أوجبت للمؤمنين الجنة يمكن تصنيفها إلى:

- أعمال باطنة: وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى وبسائر ما أخبر عنه من المغيبات، وبالتقوى كما مر آنفا، وهي أعمال وإن غلب تصنيفها أنها من أعمال الباطن فليس ذلك إذا لم جهة مصدرها وإلا فهي أعمال لا قيمة لها إلا من تنتج آثار عملية في الخارج والمحيط الإنساني والاجتماعي.

- أعمال ظاهرة فردية وجماعية تجاه الإنسان: ويدخل فيها أداء كل ما أمر الله تعالى بأدائه من الحقوق والواجبات، وعلى رأسها فرائض الدين من إيمان وحفظ الصلاة والزكاة وحفظ الفروج والأعراض والكرامة، والوفاء بالعهود وأداء الأمانات...

ثالثا – خلاصات ومستفادات: ومن ذلك:

– أن إيراث الجنة مرتبط ومتلازم مع إيراث الكتاب وإيراث الأرض، فمن أورث الكتابَ وعمل به أورث الأرضَ، ومن أورثه الله تعالى الأرضَ وعمل فيها بمقتضى الكتاب كان جزاؤه أن يورثه الله تعالى الجنة.

– أن معياري الإيمان والعمل هما أساس الإيراث الحقيقي: فلا يورث الكتاب إلا المؤمنون، ولا يورثون الأرض إلا إذا عملوا بالكتاب.

– أن معيار العمل في الإيراث معيار شامل لكل الأعمال التي تعود على الإنسان بالنفع والصلاح في الباطن والظاهر، في الدنيا والآخرة، في علاقته بربه وبأخيه الإنسان.

– مفهوم الإيراث القرآني مفهوم إيجابي غايته صلاح الإنسان وإقامة العمران البشري على موازين الوحي في الصلاح والخير، ووسيلته إقامة فرائض الله تعالى والاهتداء بهديه: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: 73).

الطيب بن المختار الوزاني

فاس: الملتقى الفقهي الدولي للمالية التشاركية

يتدارس قضايا "المطابقة الشرعية وأثرها في ريادة المؤسسات المالية الإسلامية"

احتضنت مدينة فاس في الفترة الممتدة ما بين 27 و28 مارس 2017 بقصر المرينيين الملتقى الفقهي الدولي للمالية التشاركية، في موضوع: "المطابقة الشرعية وأثرها في ريادة المؤسسات المالية الإسلامية"، والتي نظمتها مؤسسة فينيوبوليس (المطابقة الشرعية والاستشارات) بشراكة مع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ومؤسسة الأيوفي وكذا مؤسسة الزكاة (الجمعية العمومية المغربية) ومؤسسة إسرا، وذلك بحضور خبراء ومتخصصين وباحثين في مجال المالية الإسلامية.

أشغال اليوم الأول: 27 مارس 2017.

افتتح هذا الملتقى بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، وجلسة افتتاحية ضمت كلمة الدكتور محمد الصحري ممثل المجلس العلمي الأعلى، وكلمة الدكتور حامد ميرة الأمين العام لهيئة المحاسبة والمراجعة للأيوفي، وكلمة الدكتور أكرم لال الدين المدير التنفيذي للأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية في التمويل الإسلامي، ثم كلمة الدكتور مصطفى فوضيل (المدير التنفيذي لمبدع) نيابة عن الدكتور الشاهد البوشيخي، وأخيرا كلمة الدكتور سامي السليماني مدير مؤسسة فينيوبولوس للاستشارات والمسؤول عن قسم الخدمات الشرعية.

بعد ذلك عقدت الجلسة الأولى في شكل مائدة مستديرة حول موضوع "المطابقة الشرعية وأثرها في ريادة المؤسسات المالية: تقديم للواقع واستشراف للمستقبل"، ترأس أشغالها د.سامي السليماني.

بدأت الجلسة بكلمة د.حامد ميرة عن نشأة مفهوم الرقابة الشرعية؛ حيث بدأ الحديث عنه منذ أربعين سنة ومر بعدة مراحل إلى أن وصل إلى حوكمة الرقابة الشرعية (ومعناه توفير الأدوات التي تحتاجها لضمان الفعالية والمساءلة واتخاذ قرارات صائبة)، وكل هذه المجهودات من أجل السعي إلى الجودة الشرعية.

وأبرز في حديثه أهم سبل الجودة الشرعية المتمثلة في:

1 – جودة الفتوى 2 – الرقابة الإلزامية 3 – الشركات في تطوير المنتجات 4 – جودة المنتج 5 – التدريب والتكوين 6 – الرقابة الخارجية. وهذه كلها من أسس الحوكمة.

وتلتها كلمة د.يوسف البغدادي (المدير العام لمؤسسة دار الصفاء للتمويل) حيث تطرق في عرضه إلى أهم التحديات ولخصها في:

أولا: الشجاعة؛ أي شجاعة الرواد في إرساء البنك التشاركي.

ثانيا: التكوينات؛ بحيث تسهر البنوك التشاركية على تكوين الأطر في جميع الجوانب المتعلقة بالتحويلات الإسلامية، والسعي إلى تطوير المنتجات وتحسينها.

ثم تناول الكلمة د.رضا سعد الله، الذي أشار إلى ضرورة اختيار موارد بشرية مؤهلة، واعتبر نقل العاملين من البنوك التقليدية إلى البنوك الإسلامية بدون مراعاة خصوصيات هذه الأخيرة ضربا في الجودة، لهذا أكد على أهمية التكوين الحقيقي للأطر من أجل تثبيت الفلسفة الشرعية في البنوك الإسلامية، ومن أسس الجودة الشرعية عند الدكتور رضا سعد الله الاعتماد على التدقيق الخارجي.

أما بخصوص الجلسة الثانية فقد ترأس أشغالها د.عبد المجيد الكتاني (نائب عميد كلية الشريعة والقانون بفاس) حول موضوع: "الهندسة الشرعية وموقعها في تطوير المالية الإسلامية".

بدأت الجلسة بكلمة د.سعد البقالي، التي تحدث فيها عن "إدارة الضبط والمراجعة الشرعية ببنك دبي الإسلامي: الواقع العملي لتطوير المنتجات في المالية الإسلامية والمناهج الفقهية المتبعة". مشيدا بدور الابتكار (الإنشاء) وتطوير(تحسين) المنتجات، حيث أبرز عدة نظريات للتطوير والابتكار:

فتحدث عن النظرية الشرعية للتطوير وابتكار المنتجات المالية الإسلامية مستندا في ذلك إلى أن الأصل في العقود الإباحة.

ثم نظرية المَعْيَرَة: والتي تضم معايير الأيوفي، ومعايير التقنين والتقعيد، معيرة المنتجات أو معيرة العقود، معايير الابتكار والاجتهاد في مقابل التقليد والتقنين.

ثم نظرية التطوير والأسلمة: كمنتج السلم وأسلمته.

وتناول الكلمة بعده الدكتور محمد قراط (مستشار بمؤسسة المعالي للاستشارات)، عن "هندسة العقود المالية الشرعية بين الضوابط الجلية والمظان الظاهرة"؛ فتحدث عن المواءمة القانونية والمشاكل التي تواجهها المنتجات الشرعية من عدم الوضوح كعقد الاستصناع مثلا. وللخروج من هاته المشاكل أكد على ضرورة وجود لجنة من أجل التطوير.

أما كلمة د.سعيد بوهراوة (كبير الباحثين بالأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية)، فقد وسمها بـ"الهندسة المالية الإسلامية وتحديات المواءمة بين الشريعة والقانون". وقد صدرَ لكلمته هاته بوضع إشكاليةٍ عن مدى إمكانية إجراء مواءمة بين الشريعة والقانون الوضعي؟ وما الأسس المنهجية المستندة إليها؟ وما مفهوم المواءمة؟ وما ضوابطها؟

وبسبب غياب بعض المتدخلين في الملتقى، تم دمج الجلسة الثالثة التي كانت في موضوع: "ضوابط الفتوى ومنهجيتها في ضوء المعايير الدولية"، والجلسة الرابعة التي كانت في موضوع: "التدقيق الشرعي في المؤسسات المالية الإسلامية بين المتطلبات القانونية والتطبيقات الواقعية"، في جلسة واحدة ترأسها د.محمد قراط.

وقد بدأت بكلمة د.عز الدين زغيبة (نائب رئيس هيئة الرقابة الشرعية ببنك السلام الجزائري)، في موضوع "منهجية الفتوى في ضوء الاجتهاد الجماعي". فتطرق إلى العلاقة بين الفتوى والاجتهاد الجماعي حيث يظهر بينهما علاقة الوسيلة بالنتيجة؛ ذلك أن الاجتهاد الجماعي هو أحد وسائل الفتوى، كما أن الفتوى هي أحد نتائج الاجتهاد الجماعي. وتكمن أهمية الاجتهاد الجماعي في أنه أحد طرائق الفتوى ووسائلها- وبخاصة في عصرنا الحاضر- في ضبط الفتوى والبعد بها عن الشطط والاضطراب. وذكر الكثير من المجامع الفقهية التي تقوم بالاجتهاد الجماعي؛ كمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر...

ثم تلتها كلمة د.منصف بن الطيبي (نائب رئيس جمعية الزكاة)، حول موضوع: "التدقيق الشرعي الخارجي على المعاملات المالية التشاركية بالمغرب: المتطلبات والتحديات"، حيث تحدث عن أهمية التدقيق الخارجي في الرقي بالبنوك التشاركية إلى الجودة الشرعية، وذلك لاعتبار الاستقلال الذي يمتاز به التدقيق الشرعي الخارجي.

ثم كلمة د.محمد الفريخي (أستاذ الفقه وأصوله بجامعة القرويين)، حول موضوع: "تحديات المواءمة الشرعية والقانونية لمعاملات البنوك التشاركية: رصد وحلول".

وبعدها مداخلة عبد الله عبد المؤمن، بموضوع: "ضوابط إعمال التهمة في المعاملات المصرفية المعاصرة".

ثم جاءت كلمة د.عبد السلام بلاجي (رئيس الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي)، عن "الجوانب القانونية والإجرائية لوظيفة المطابقة الشرعية وعمل البنوك التشاركية"؛ وقد ارتكزت كلمته حول القانون المنظم للبنوك التشاركية، بحيث تطرق إلى نص مشروع القانون الجديد على خضوع البنوك التشاركية لرقابة المجلس العلمي الأعلى، تقييما حول مطابقة عملياتها وأنشطتها مع اللوائح المنظمة الصادرة عن المجلس. وتطرق أيضا إلى المنتجات التي أصدرتها لجنة البنوك التشاركية (المرابحة، المضاربة، المشاركة، السلم، الاستصناع).

ثم تلتها كلمة د.عمر ولد غزالة (مستشار بفينيوبوليس) حول موضوع: "مكانة التدقيق الشرعي في نظام الحوكمة العامة في المؤسسات المالية الإسلامية".

ثم جاءت كلمة ذ: أحمد الهيبة ماء العينين حول موضوع: "التقيد بالآراء الشرعية المتعلقة ببيع المعادن".

أشغال اليوم الثاني: 28 مارس 2017.

أما بخصوص اليوم الثاني، فقد كانت جلسته الأولى التي ترأسها د.أكرم لال الدين في موضوع: "دور الفقه المالكي في تطوير العمل المصرفي الإسلامي".

وبدأت بكلمة الشيخ مولود السريري (مدرس بالمدرسة العلمية العتيقة بتنكرت بالأطلس الصغير)، في موضوع: "منهج النظر المالكي في النوازل المستجدة".

تحدث فيه عن أهم المعايير الضابطة للنظر الفقهي في النوازل، الضامنة لجودة التأصيل والتنزيل، وأنها لا تكاد تخرج عن مستوى الكفاءة الفقهية التي عبر عنها بالملكة الفقهية، ومدى رعاية نظام الاستدلال في الشريعة، وبذل الجهد في ذلك، وكذا الإحاطة بالواقع.

ثم تلتها كلمة د. وليد شاويش (أستاذ بجامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن)، عن "دور قياس الشبه في التأطير الفقهي في الاقتصاد الإسلامي: الحساب الجاري والكمبيالة نموذجا"؛ فتحدث عن قياس الشبه وكيف يمكن تكييف هذا القياس على المعاملات المالية، من أجل ابتكار عقود جديدة أو تركيبها، كما أشار إلى أنه لا فرق بين قياس الأشباه وقياس الشبه، وأكد على أن المالية الإسلامية ليست أرقاما وإنما هي أخلاق.

ثم كلمة الشيخ عبد القادر عمور(مدير مؤسسة لمجموعة المعالي للاستشارات في المالية الإسلامية) حول موضوع: نظرات على قواعد الفقه المالكي في المعاملات المالية.

ثم جاءت كلمة د.محمد والسو (أستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس)، حول "قاعدة الاستثناء من المنع وضوابط إعمالها في معاملات الأبناك التشاركية"؛ فتحدث عن بعض المعاملات التي يدخل فيها الاستثناء وذكر بعض الأمثلة، كما أشار إلى ضرورة الانطلاق في الاجتهاد من الفقه وليس الواقع.

وأما بالنسبة للجلسة الثانية والتي ترأسها د.مصطفى فوضيل فقد كانت في موضوع: "ضوابط إعمال المقاصد في الصناعة المالية الإسلامية".

وقد بدأت بكلمة د.محمد البشير ولد ساس (أستاذ للمالية الإسلامية بجامعة ستراسبورج)، في موضوع: "ضوابط الحكامة الرشيدة من منظور مقاصدي"؛ تحدث فيه عن أخلاقيات الحكامة الرشيدة (الشفافية، المساواة، العدل..)

ثم تلتها كلمة د.امحمد العمراوي (أستاذ بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس)، ودارت حول "النظر المقاصدي في المعاملات المالية عند المالكية أمثلة ونماذج".

ثم كلمة د. محمد السنيني، حول موضوع: تأجيل رأس مال السلم"مسوغات مقاصدية ونظائر فروعية+.

ثم بعد ذلك كلمة ذ. عمر الدريسي حول موضوع: عقود المصارف الإسلامية بين الصورية والمقاصدية

وختمت الجلسة بكلمة د. نور الدين قراط (أستاذ الأصول والمقاصد بجامعة محمد الأول بوجدة)، في موضوع: "معالم وضوابط إعمال المقاصد في النوازل المالية المعاصرة"؛ تحدث فيه عن منطلق التعامل مع النص عبر مرحلة الفهم التي تحتاج إلى مدركات وقواعد. والتعامل مع النص من خلال التنزيل على الواقع، وأشار إلى أن هذه المرحلة هي الأصعب؛ إذ تحتاج إلى نظر مقاصدي وفكر ثاقب، ومن هنا قال العلماء قديما وحديثا؛ إن الشريعة مرتبطة بالمصلحة، وسماه ابن القيم بالفقه الحي، الذي يدخل العقول والقلوب بدون استئذان. وهذا النوع من الفقه يحتاج إلى ضبط لأن الشريعة أناطت التشريع بالضبط والتحديد، وهاته الضوابط يمكن تلخيصها في الآتي:

اعتبار الكليات باعتبارها الجامعة للشريعة الإسلامية.

إعمال الجزئيات في إطار الكليات.

اللجوء إلى الاجتهاد الجماعي حتى يحصل هذا النوع من الفقه المقاصدي.

إعداد الباحث: هشام بلقاضي

الأستاذ إدريس اليوبي ينتقل إلى دار البقاء في عز العمر والعطاء

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت الساحة التعليمية والدعوية والخطابية بفاس رجلا محبا لدينه غيورا على وطنه، عرفته الساحة التعليمية بفاس أستاذا ومديرا فاضلا، وعرفته الساحة الدعوية الإسلامية بفضله وقوة غيرته، وعرفه الناس خطيبا لبيبا فصيحا حكيما.

إنه الأستاذ **إدريس اليوبي** صهر الأستاذ المرحوم المفضل فلواتي مدير جريدة المحجة.

وافته المنية في بيته فجأة أول ساعات يوم الخميس فاتح رجب 1438هـ الموافق 31 مارس 2017 بعد حياة حافلة بالعمل في الخير والاجتهاد فيه.

والفقيد من مواليد 1964.

وقد زاول في حياته مهام عديدة:

فهو خريج كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس تخصص اللغة العربية وآدابها؛

وخريج المركز التربوي الجهوي بفاس؛

اشتغل بالتدريس في كل من سطات وفاس؛

واشتغل في الإدارة التعليمية حارسا عاما بعدد من المؤسسات التعليمية؛

ومديرا بالثانوية الإعدادية ابن أجروم التابعة للمديرية الإقليمية بفاس.

كما كان عضوا نشيطا ضمن رابطة مديري التعليم، وشغل منصب رئيس فرع فاس لجمعية المديرين بالثانوي الإعدادي.

وظل مسهما في أعمال البر والخير في عدد من الأنشطة بأكاديمية فاس.

كما اشتغل خطيبا بمسجد عثمان بن عفان بفاس.

كما كان عضوا نشيطا في جمعية الأعمال الاجتماعية بفاس.

وعرفه قراء المحجة كاتبا على صفحاتها.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة المحجة بأحر تعازيها وأصدق مواساتها إلى أسرة الفقيد؛ زوجته وأبنائه الفضلاء وأصهاره وسائر محبيه، سائلين الله تعالى العلي القدير أن يتقبل الفقيد عنده من الصالحين وأن يعامله برحمته وإحسانه ويشمله بعفوه وغفرانه، ويسكنه فسيح جنانه، ويرزق بنيه وذويه الصبر والاحتساب، ولا نملك إلا أن نقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

جريدة التجديد وموقعها "جديد بريس" من التميز والمبادرة إلى التوقف والمغادرة

أعلنت مؤسسة التجديد في موقعها جديد بريس أنها ستتوقف عن العمل الصحافي والإعلامي الذي ابتدأته عبر مسيرة إعلامية عمرها حوالي ربع قرن بدأت أول ما "بدأت بالجريدة الورقية سنة 1987 مع "الإصلاح"، مرورا بـ"الراية" و"الصحوة" إلى "التجديد"، والدخول إلى العالم الرقمي سنة 2000".

وقد استعرض خبرُ التوقف -الذي كتبه زكريا سحنون رئيس تحرير جديد بريس- المحطات التاريخية للمؤسسة الإعلامية ومختلف المراحل التي مرت بها التجربة الإعلامية للموقع في تفاعله مع متطلبات الواقع الصحافي والاستجابة لحاجيات القراء، وقال: "حرصنا خلال هذه "الحياة الافتراضية" على أن نكون إضافة نوعية في المشهد الإعلامي المغربي الوطني من خلال دوائر اهتمامات متعددة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، رياضية...) وعبر تعاط ينشد الموضوعية مع مختلف القضايا والنوازل التي تعرضنا إليها"

ولم يشر بلاغ التوقف إلى الحيثيات والأسباب التي أدت إلى ذلك إلا أن مدير جريدة التجديد الورقية جواد الشفدي أعلن في بلاغ آخر نشرته مواقع إلكترونية ومنابر ورقية أن العجز المالي وتحول الجريدة إلى الإصدار الأسبوعي جعل مواردها من الإشهار تتراجع؛ وقال إن "مؤسسة (التجديد) اضطرت بعد سنوات من الحضور في الساحة الإعلامية الوطنية، إلى إيقاف إصدار جريدة التجديد الأسبوعية وموقع جديد بريس، لأسباب اقتصادية قاهرة".

وذكر أنه بعد أزمة مالية خانقة استمرت لعدة سنوات، ورغم العديد من محاولات الإنقاذ المتتالية، "لم يعد ممكنا الاستمرار في الإصدار، خصوصا بعد إيقاف معلنين كبار للعقود الإشهارية التي كانت تجمعهم بالمؤسسة".

وقد تفاعل كثير من المهتمين بالحقل الإعلامي مع هذا الحدث وقد اعتبر نور الدين مفتاح، رئيس فدرالية الناشرين بالمغرب، في تعليق له على قرار توقف الجريدة في تصريح لهسبريس: "إن إغلاق جريدة بالمغرب يعتبر جنازة"، مشيرا إلى أنه "تم التنبيه إلى ذلك في السنوات الأخيرة، إذ إن مقبرة الصحف تتسع، وهو ما يهدد وسائل إعلام تنشط الديمقراطية، ويهدد القطاع بأكمله".

وبطي صفحة هذا المنبر الصحافي والإعلامي الورقي والإلكتروني يكون المشهد الإعلامي المغربي قد فقد أحد منابره الذي حقق تميزا وإضافة نوعية وأضفى على المشهد الإعلامي تنوعا في التحليل والرؤية من زاوية إسلامية خاصة، ويمكن عد احتجاب التجديد عن الصدور ليس خسارة للإعلام فقط وإنما خسارة للتنوع الديمقراطي والحق في الاختلاف والإسهام في تنوير الرأي العام بالحقيقة من منظورات مختلفة.

وإذا كان المرء لا يسعه إلا تقدير هذه الجهود الكبيرة والتضحيات والإضافات النوعية لجريدة التجديد وتجربتها الإعلامية المتميزة فإنه لا يسعه أيضا إلا أن يقول "وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر"، لكن لنا اليقين أن أهل المغرب وأهل الدار لا يخبو بدرهم ولا ينخسف إلا ليظهر أضوأ وأنور، ونرجو للزميلة جريدة التجديد تجاوز كل الصعوبات واستئناف رسالتها.

الطيب بن المختار الوزاني

مقولة "الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في باب الخير لان..." في ميزان النقد

المقولة جزء من نص منسوب للأصمعي، لكنه رُوي بروايتين متضاربتين متعارضتين:

1 – رواية ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ورواية المرزباني في الموشح

2 – فما هو وجه التعارض بين الروايتين؟

3 – وأي منهما الأضعف والأصح؟ وما هي مقاييس التصحيح والترجيح؟

4 – وما سبب شيوع الرواية الأضعف في كتب التراجم والطبقات؟

1 – روايتا المقولة:

1 . 1 - **فأما رواية ابن قتيبة** –وهي الأقدم والأكثر انتشارا–(1) فهي قوله: "قال الأصمعي الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي ﷺ"(2).

1 . 2 **وأما - رواية المرزباني** –وهي الأحدث والأقل تداولا– (3) فهي: "حدثني عبد الله بن يحيى العسكري، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الصمد، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العباس بن ميمون طابع، قال: حدثنا الأصمعي، قال: طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير –من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم– لان شعره، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والخيل والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان" (4).

2 – وجه التعارض بين الروايتين:

واضح ما بين الروايتن من تعارض مع أن الناطق بهما واحد، وهو الأصمعي؛ ففي الوقت الذي تذهب فيه رواية ابن قتيبة إلى توسيع دائرة التجريح ليشمل زمن الإسلام بكامله من حيث هو زمن تخلفت فيه شاعرية حسان سقوطا وضعفا ومقطوعا سندها عن زمن سابق هو زمن الجاهلية من حيث هو زمن الفحولة والتفوق، متذرعة بالعامل الديني: "لحال النبي"؛ وفي الوقت الذي تستخدم هذه الرواية مصطلحات صارمة في التجريح من قبيل: "النكد" و"الشر" و"الضعف" و"السقوط" و"القطع"، تذهب رواية المرزباني على خلافها إلى تقليص دائرة التجريح لينحصر في غرض شعري جديد على حسان بن ثابت كما سيتبين في سياقه بعد، ولتُقِرَّ بتفوق شاعريته في بقية الأغراض الشعريةَ في زمن الجاهلية والإسلام معا؛ ووجه التعارض الثاني هو تجنب رواية المرزباني للمصطلحات القادحة والأشد جرحا، والاقتصار على مصطلح ألطف تجريحا هو مصطلح "اللين"، من حيث هو مصطلح لغوي كما سيتضح بعد، وعلى خلاف رواية ابن قتيبة تذهب رواية المرزباني إلى أن سبب "تليين" شاعرية حسان هو سبب فني –وليس دينيا كما في الرواية الأولى– يعود إلى غرض جديد على الشاعر لم يكن مؤهلا للقول فيه أصلا كما سيتضح بعد.

3 – فأي الروايتين أوثق وأصح؟

للإجابة عن هذا السؤال سنحاول أن نسلك مسلك المحدثين في نقد نص الروايتين سندا ومتنا:

3 . 1 - **من حيث سند رواية ابن قتيبة:**

3 . 1 . 1 - **يتبين أن سند الرواية الأولى** غير متصل ما بين الناقل – وهو ابن قتيبة المتوفى 276 هـ –والناطق بالنص– وهو الأصمعي المتوفى 215 هـ، إذ الثابت أن ابن قتيبة لم يكن تلميذا للأصمعي، وإنما تسربت إليه مروياته عبر جيل من تلامذة الأصمعي المباشرين الذين نقل عنهم في كتاب الشعر والشعراء نصوصا أخرى عن الأصمعي نفسه أضراب أبي حاتم السجستاني(5) المتوفى 248 هـ، والرياشي العباس بن الفرج(6) المتوفى 257 هـ، و عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي(7). ووجه الاعتراض هنا على رواية ابن قتيبة هي أن نصوصا غير قليلة رواها عن الأصمعي بواسطة تمثل طبقة من العلماء هم تلامذة صاحب النص، وهم في الوقت ذاته شيوخ ناقل النص؛ فلم أثبت السند هناك وأسقط هنا؟ أليس من الجائز بل من الراجح أن ابن قتيبة إنما أعوزه السند فأسقطه.

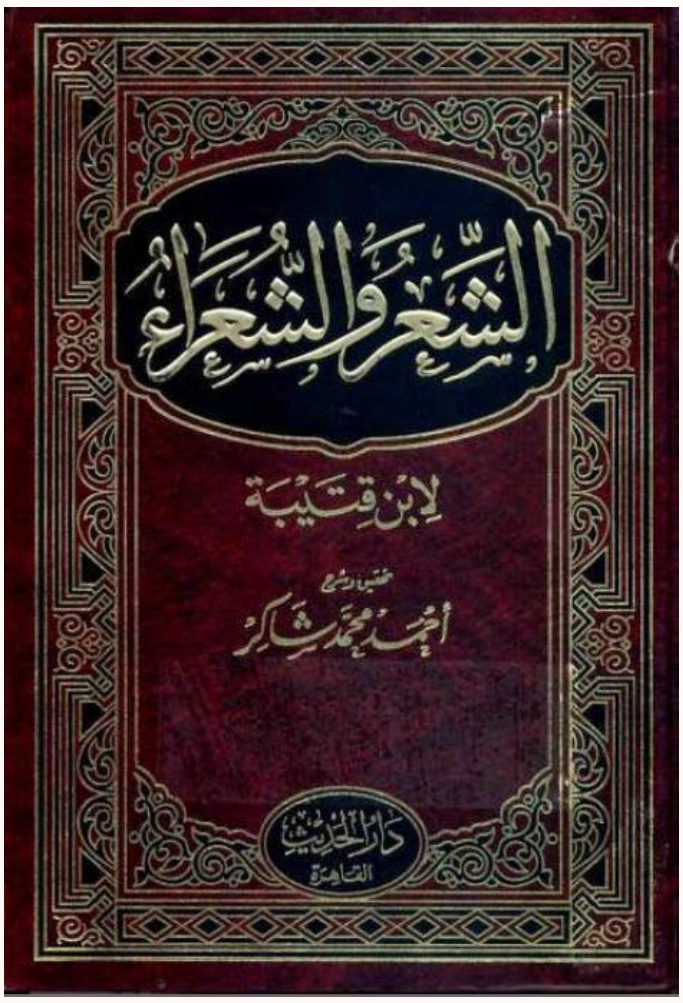

3 . 1 . 2 - **وعلى خلاف رواية ابن قتيبة** اتسمت رواية المرزباني (ت 384 هـ) –رغم تأخرها الزمني– باتصال السند بين الناقل والناطق طبقة عن طبقة، وباستعمال صيغة التحديث: "حدثني" و"حدثنا"، وهي من أرقى صيغ السماع وأرقى مراتب التحمل والأداء لدى المحدثين.

3 . 1 . 3 - **لم يكن ابن قتيبة بالناقل** الذي يوثق بمجمل مروياته في اللغة والشعر، فقد أُخذ عليه تساهله في نقل الأخبار وادعاء الحمل عمن لم يلتق بهم إطلاقا، ومن ذلك ما لاحظه عليه الأزهري: "القتيبي، روى عن سيبويه، والأصمعي، وأبي عمرو؛ وهو لم ير منهم أحدا"(8)، وجرحه لهذا لسبب غير واحد من العلماء؛ ومنهم أبو الطيب اللغوي (ت351 هـ)، وقد طعن في مروياته اللغوية بقوله: "ابن قتيبة خلّط.. بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات، وكان يتستر في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفَق(9) به عند العامة ومن لا بصيرة له"(10).

3 . 1 . 4 - **وغلّطه الأزهري في (محمد بن أحمد)** (ت 370هـ) بقوله: "وأما أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري فإنه ألف كتبا ... تصفحتها كلها، ووقفت على الحروف التي غلط فيها، وعلى الأكثر الذي أصاب فيه. فأما الحروف التي غلط فيها فإني أثبتها في موقعها من كتابي، ودللت على مواضع الصواب فيما غلط فيه... فأما ما استبد فيه برأيه... فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة، وألفيته يحدس بالظن فيما لا يعرفه ولا يحسنه"(11).

3 . 1 . 5 - **ورغم أن ابن النديم** (ت385 هـ) شهد له بالصدق والعلم باللغة والغريب والشعر فإنه جرحه بالتخليط والغلو المذهبي: "عبد الله بن مسلم.. كان يغلو في البصريين، إلا أنه خلط المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين"(12)؛

3 . 1 . 6 - **ورغم أن الذهبي** نعته بالصدوق فقد أخذ عليه قلة الرواية: "عبد الله بن مسلم بن قتيبة.. صدوق، قليل الرواية"(13)؛

3 . 1 . 7 - **ولعل كثرة الأغلاط** التي تواترت في مرويات ابن قتيبة هي التي سمحت لابن الأنباري –فيما رواه الأزهري باتهامه بالغباوة وقلة المعرفة: "ورأيت أبا بكر الأنباري ينسبه إلى الغباوة وقلة المعرفة"(14)؛

3 . 1 . 8 - **واتُّهمت مرويات ابن قتيبة اللغوية** في لسان الميزان لابن حجر بـ "قلة الرواية" و"ادعاء التقدم في العلوم"، و"الهجام الولوج فيما لا يحسنه": "عبد الله بن مسلم.. صدوق، قليل الرواية... قال ابن نصر الوابلي: ابن قتيبة يتعاطى التقدم في العلوم، ولم يرضه أهل علم منها، وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد.. وقال إمام الحرمين: ابن قتيبة هجام ولوج فيما لا يحسنه.."(15)؛

3 . 1 . 9 - **ومن المحققين المعاصرين** من فطن إلى شيء مما ذكره القدماء في تضعيف مرويات ابن قتيبة اللغوية على نحو ما لاحظه الدكتور الطاهر أحمد مكي على كتابه الشعر والشعراء –وهو الذي يعنينا– من تسرع وتخليط وضعف في التحري: "... وقد تتشابه عليه الأسماء فيخلط بينها، ويضيف من الأحداث لشاعر ما ليس له. فحين ترجم لأبي دواد الإيادي ذكر أنهم "اختلفوا في اسمه، فقال بعضهم: هو جارية بن الحجاج، وقال الأصمعي: هو حنظلة الشرقي"، ونسبة هذا الخبر إلى الأصمعي خاطئة؛ لأن حنظلة بن الشرقي هو أبو الطمحان القيني، وقد ذكر الأصمعي نسب أبي دؤاد صحيحا في "أصمعياته" فذكر أنه أبو دؤاد الإيادي واسمه جارية بن الحجاج" (16).

---

1 – نقلها ابن عبد البر في الاستيعاب: 346/1، والبكري في سمط اللآلي: 172/1، والكلاعي في إحكام صنعة الكلام، وابن الأثير في أسد الغابة: 483/1.

2 – الشعر والشعراء: 1/ 305.

3 – لم نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها إلا على ناقل واحد، هو الشريف المرتضى في الأمالي: 269/1

4 – الموشح 79، ورد هذا النص أيضا في ص: 83، في معرض الحديث عن لين شعر النابغة الجعدي، لكنه محذوف السند، وفيه لفظتان مختلفتان عن الأول، ففي الأول ذكرت (هو طريق) وفي الثاني أنثت (هي طريق)، وفي الأول (النبي) وفي الثاني (رسول الله).

5 – نقل ابن قتيبة عن أبي حاتم عن الأصمعي في الشعر والشعراء سبع مرات في ص: 8، 9، 300،484، 485، 496، 574.

6 – نقل ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي في الشعر والشعراء في ص: 12.

7 – نقل ابن قتيبة عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي في الشعر والشعراء ست مرات في ص:377،225، 443، 570، 604، 639.

8 – تهذيب اللغة: 25، يراجع مقدمة مشكل القرآن تحقيق السيد أحمد صقر: 38.

9 – نفَق البيع نفاقا: راج ... ونفَق الدرهم ينفُق نفاقا: كذلك ... ومنه الحديث: اليمين الكاذبة مَنْفقة للسلعة مَمْحقة للبركة

10 – مراتب اللغويين:136 . 137.

11 – تهذيب اللغة: 46.

12 – الفهرست: 115/1.

13 – ميزان الاعتدال: 503/2.

14 – تهذيب اللغة: 46.

15 – لسان الميزان: 357/3 – 359.

16 – دراسة في مصادر الأدب: 249.

يتبع

د. صالح أزوكاي

حاجة الجامعات والمعاهد الشرعية إلى علوم التربية في التدريس علوم الحديث أنموذجا

إن المطلع على واقع تدريس العلوم الشرعية عموما، وعلم الحديث منها خصوصا، وبنظرة في مخرجات الجامعات والمعاهد الشرعية يلحظ تدنيا ملحوظا في مختلف المستويات، وخاصة على مستوى المراقي العقلية، والمنازل العليا للدماغ التي تجعل الطالب يتصرف في العلم نظرا، ونقدا، واستدراكا، وتجديدا وإبداعا واجتهادا؛ إذ إن المقصد الأساس من تحصيل قواعد هذا العلم، ودراسة مناهج أربابه، لا يقتصر على المستويات الدنيا؛ أقصد أن يتخرج الطالب حمالا ووعاء يستظهر مئات النصوص، دون التمهر في أي واحد منها؛ إذ إن الغاية العظمى من دراسة علوم الحديث، هو أن يصير هيئة راسخة في نفس الطالب، توجه نظره، وتؤثر في نمط تفكيره، وبمعنى أدق حصول الملكة، أعني أن يعيد الطالب صوغ عقله صياغة حديثية، وأن تلمس ثمار هذه الملكة ليس على مستوى العلم الذي يبحث فيه فقط، بل يتعداه إلى أن يصير وظيفيا في حياته، فلا يصدر حكما إلا بعد التثبت من صحته، ولا يتسرع في إطلاق الأحكام إلا بعد الإحاطة بظروفها وملابساتها وسياقاتها (...) إلى غير ذلك من الوظائف التي تثمرها هذه الملكة.

إن الناظر في أسباب قصور الملكة الحديثية لدى خرجي الجامعات والمعاهد الشرعية، يلحظ أن هذا التدني يرجع في شق كبير منه إلى قصور، إن لم نقل إلى غياب منهج تربوي واضح الأسس والمعالم في تدريس هذا العلم. نعم؛ لا ننكر مدى فتور همة الطالب، وتكاسله وتقاعسه عن البحث والتحصيل ومداومة النظر في مصنفات أئمة هذا الفن، ولكن من المسلم به، المعلوم ثبوته بدلالة الحس والتجربة، أن الطالب متى ما أسعفته مناهج التدريس في تقريب العلم، وجعله سهل المنال بين يديه، قادرا على تصور مسائله، يستطيع أن ينزل قواعده، لا شك أنه يقبل بحب ونهم على هذا العلم. فمن خلال التجربة الجامعية -وهي جزء منا، لا نستطيع استبعادها- وكذا الدراسة الميدانية - في بحث الماستر- وجدنا معظم من يشتكي صعوبة هذا الفن، وضعف همته في الإقبال عليه، يرجع ذلك إلى الطرق التي تدرس بها وحدات علوم الحديث، والذي أكد هذه النتيجة، هو أن معظم توصياتهم، انصبت على ضرورة اعتماد قواعد فن التدريس وتنويع طرقه، في تدريس وحدات هذا العلم. وهذا يدلك على أن أساتذة وحدات علوم الحديث، أثناء تحضيرهم، أو مطالعتهم ونظرهم في مصنفات أرباب هذا الفن، لا يستحضرون إلا شقا واحدا، لا يسعف أبدا في قدح الملكة الحديثية، ونقل صناعة هذا العلم إلى الطالب، يستحضرون نقل المعرفة؛ التي تعنى بنقل القواعد واستشهادات الأئمة، وذكر أوجه الخلف بينهم فيما يتعلق بالحدود الحديثية، ويغفلون عن لب وجوهر تدريس هذا العلم، وهو نقل منهج بناء تقعيد القواعد بالموازاة مع نقل المعرفة، فالطالب مهما أوتي من حافظة قوية، يستطيع أن يستظهر من خلالها جميع مصطلحات هذا العلم، مع استحضار معظم الخلافات الواردة في مسائله، وعزو كل نص إلى صاحبه، ما صيره ذلك عشر معشار محدث؛ لأنه بكل بساطة لم يأت البيوت من أبوابها، وباب الصنعة والملكة، هو تدريب الطالب على درك مناهج أئمة الحديث في النقد والتعديل والتجريح والتصحيح والتضعيف.

والقارئ يدرك أهمية ما نحن بصدد التنبيه عليه والدعوة إليه، إذا علم أن معظم التراث مفقود، والموجود منه معظمه مخطوط، والمطبوع منه في حيز المخطوط، هذا على مستوى علم الحديث نفسه، أما المصنفات الفقهية والأصولية وكتب التفسير والرقائق (التصوف) التي حوت مئات الأحاديث التي تحتاج إلى جهود جبارة في تخريجها، وتمييز سقيمها من ضعيفها، فذاك مما تفنى دون الأعمار في خدمته، ولست هنا بصدد تبيان أهمية التحقيق وأثره في التعريف بذات الأمة، والخروج بها مما حل بها من أزمات ونكبات في شتى المجالات، ولكنه سيق لضرورة تأهيل من يحمل مشعال هذه الأمانة العظيمة، ولعمري إن الدفاع عن حياض الشريعة وحرس حدودها وخدمة تراثها لا يتأتى إلا بحصول هذه الملكة؛ «لأن النقد الحديثي صناعة لا تتيسر إلا لمن أفنى عمره في دراسة علوم الرواية والدراية. وعليه، فإن من واجب النقاد من المحدثين المعاصرين، وطلبة العلم، الذين يطمحون إلى التمكن من ناصية هذا الفن، أن يضعوا على عاتقهم مهمة تنقية التراث وتصفيته» (أبجديات البحث العلوم الشرعية، د فريد الأنصاري، ص 198).

إن ما يصبو الباحث في هذا المقال إلى تحصيله لن يتأتى إلى من خلال مقاربات ثلاث، نذكرها إجمالا في النقاط الآتي:

أولا: استجلاء المنهج التربوي الذي سلكه المحدثون في نقل الصناعة الحديثية.

ينطلق الباحث في هذا الهدف من مسلمة عليها من الشواهد العلمية والتاريخية، ما يتسع المقام لسردها، مفادها أن العلوم الشرعية منذ نشأتها صاحبها في النضوج والكمال والتأسيس منهج تربوي أسعف في تطوير هذه العلوم والوصول بها إلى مرحلة النضج والاكتمال. فإنه من غير المعقول أن يكون الإبداع والتجديد الذي أسهم في تطوير علم الحديث بعيدا عن منهج تربوي منضبط، متكامل الأسس والأركان.

صحيح؛ أن المنهج التربوي يظل ضامرا في التراث الحديثي، غير واضح المعالم، ولكن لا يصح بحال من الأحوال أن نسلم بأن علماءنا درسوا أو درّسوا ا بعيدا عن هذا المنهج؛ إذ إن ذاك من الادعاء الذي لا توجد عليه من الشواهد ما يجعله برهانا ودليلا تركن إليه القلوب، بل النصوص -وإن قلت- تشهد بخلاف ذلك.

فالهدف الأساس من هذه المقاربة التاريخية، والوظيفة الاستردادية هو استنطاق التجربة التربوية لدى المحدثين، للتعرف على مناهجهم في الرقي بطالب الحديث النبوي وعلومه في سلم حصول الملكة الحديثية.

ثانيا: التشخيص العلمي الدقيق لواقع تدريس وحدات علوم الحديث بالجامعات والمعاهد الشرعية.

إن المقاربة التاريخية تظل عديمة الفائدة في هذا السياق، ما لم تتجاوز ذلك إلى استلهام مقوماتها في إصلاح ما اختل من مناهج تدريس هذا العلم في الجامعات والمعاهد الشرعية، فما من شك أن مسايرة الواقع بمتغيراته ومستجداته، يفرض نفسه علينا أن نعمل أدوات البحث الميداني المحكم، قصد رصد واقع تدريس هذا العلم، للوقوف على مكامن القوة والضعف التي أدت إلى قصور الملكة الحديثية لدى خريجي الجامعات والمعاهد الشرعية. فلا يمكن وضع معالم، ولا رسم خطة عملية، تسهم في الرفع من جودة تدريس هذا العلم، الذي ينتج عنه تكوين الملكة الحديثية، إلا بتشخيص دقيق، لواقع تدريس هذا العلم في الجامعات والمعاهد الشرعية.

ثالثا: وضع منهج متكامل العناصر، يستلهم من التراث ومعطيات التربية المعاصرة.

إن الباحث من خلال هذا الهدف يدعو إلى وضع خطوات عملية، تسهم في التحسين من مخرجات الجامعات والمعاهد الشرعية على مستوى تدريس هذا العلم. فتطوير الممارسة التربوية ، لا يمكن أن تتم على الوجه الأسلم والنهج الأحكم، إلا إذا آمنا بأنه ليس كل ما خلفه أئمة الحديث من نصوص ومواقف تعليمية في ممارستهم التربوية كفيل لوحده بإصلاح مختلف الاختلالات التي تعرفها هذه الممارسة، وهذا الكلام ليس هدما للأسس التي انطلقنا منها، وهي ضرورة الانطلاق من التراث أولا، ثم الانفتاح على ما جد في حقل التربية المعاصرة، كلا. ولكن لإيماني بأن التطور الذي شهده مجال التربية والتعليم، يفرض علينا أن ننفتح بوظيفية، ووعي راشد، وعقيدة راسخة في الاستفادة من الإنتاجات والدراسات التربوية -خاصة علم النفس بمختلف فروعه- التي أجراها غير المسلمين، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. هذا من وجه.

محمد الأطرش

جهود المؤسسات اللغوية العربية لخدمة المصطلح العربي (2)

سنحاول في هذا المحور التصدي للجهود التي تبذلها بعض المؤسسات اللغوية العربية لخدمة المصطلح العربي، ونخص بالذكر المجامع العلمية العربية ومكتب التعريب بالرباط ومعهد الدراسات المصطلحة بفاس.

أ - المجامع العلمية العربية:

تنشط المجامع في العديد من الدول العربية وهي عبارة عن «جمعية من العلماء أخذت على عاتقها المحافظة على سلامة اللغة العربية»(1). وقد لخصت رسالتها في إنجاز أبحاث في أسس وضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية. إضافة إلى «نشر البحوث المتعلقة بتطويرها (أي اللغة العربية) وتجديد روحها» (2). ولعل وضع المصطلح العلمي العربي يتطلب إعدادا وتنظيمها وإشرافا وهو ما تقوم به المجامع العلمية وتيسره لكافة الباحثين. إضافة إلى ما سبق فإن المجامع العربية تحمل على عاتقها عملية «توحيد المصطلح العلمي أو الحضاري لتعميم استعماله في العربية في جميع الأقطار تفاديا للفرقة التي تؤدي إلى البلبلة وعدم التفاهم الثقافي بين الكاتبين والقراء» (3).

وحتى لا تذهب جهود هذه المجامع سدى فإنها تقوم بتجميع المصطلحات المتفق عليها في المعاجم، بغية نشرها بين الباحثين كل حسب تخصصه.

ب - مكتب تنسيق التعريب:

إيمانا منها بالجهود التي يبذلها هذا المكتب، فقد عهدت إليه جامعة الدول العربية سنة 1967م القيام بوظيفة تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة وتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي. كما حمل مكتب تنسيق التعريب على عاتقه الإعداد لمؤتمرات التعريب الدورية التي يحج إليها المشاركون من جميع الأقطار العربية.

كما شهدت سنة 1972م إلحاق المكتب بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتمت ترقيته إلى (مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي)، ومن أنشطة المكتب أيضا وضع المصطلحات بلغتين هما الإنجليزية والفرنسية ونشرها على شكل معجم ألفبائي الترتيب (4).

ج- معهد الدراسات المصطلحية بفاس:

وهو عبارة عن مؤسسة للبحث العلمي متخصصة في البحوث والدراسات المصطلحية، تابعة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. وقد أنشئ المعهد بغية تجاوز الاضطراب المصطلحي الذي يعاني منه المشهد الثقافي العربي عن طريق «الإسهام في تنظيم حركة السير في البحوث والدراسات المصطلحية» 5.

فقد عرفت سنة 1985م تأسيس "مجموعة البحث في المصطلح النقدي" بالكلية السالفة الذكر، وبتاريخ 6 ذي الحجة 1413 هـ الموافق لـ 1993/05/28 بزغ نجم "معد الدراسات المصطلحية" في سماء كلية الآداب ظهر المهراز بفاس، بعد مسيرة طويلة من الكد والعناء.

هذا التأسيس الذي كان أمنية تراود الدكتور الشاهد البوشيخي وأثبتها في كتابه "مصطلحات النقد العربي..."(6)، قد أصبحت حقيقة. ومن بين مهام المعهد: «العناية بكل ما يؤدي إلى تطوير البحث العلمي في المصطلح، نظريات، ومفاهيم ومناهج، ووسائل... في التاريخ والواقع معا»(7).

وبالجملة، إن الاهتمام بالدراسات المصطلحية عند العرب قد عرف ثلاث مراحل متباينة: ازدهار خلال القرون الأولى مع عدم الفصل بين الظاهرة المصطلحية وباقي العلوم، ثم ركود خلال العصور المتأخرة إلى إقلاع لغوي ومصطلحي منذ القرنين الماضيين مع تحديد التصور الحديث لقضايا المصطلح (النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح).

وقد بذل الأوربيون كذلك جهودا متواصلة من أجل الرقي بعلم المصطلح، فأسسوا المعاهد وأصدروا المعاجم. هذا الرقي حرك مشاعر الباحثين العرب، فأسسوا المجامع والمؤسسات اللغوية الأخرى التي حملت على عاتقها إحاطة الدراسة المصطلحية بسياج من القوانين والحدود حتى لا يتفرق الشمل ويضطرب العمل.

---

1 - في التعريب والمصطلح والمعاجم، الدكتور هلال م. ناتوت، آفاق الثقافة والتراث، السنة: 7، العدد: 25 و26، ربيع الأول،1420هـ/ يوليوز 1999م، ص: 43.

2 - نفسه، ص: 43.

3 - المصطلح العلمي العربي قديما وحديثا: الدكتور مناف مهدي محمد، اللسان العربي، العدد: 30. ذو الحجة 1408هـ/ يوليوز 1988م، ص: 153.

4 - ينظر المرجع السابق، ص:154و156.

5 - معهد الدراسات المصطلحية: الملحق الثقافي،الراية، العدد: 11، السنة: 4، الثلاثاء 23 جمادى الثانية 1417هـ/ 5 نونبر 1996م، عدد الجريدة: 221، ص: 10.

6 - ينظر على سبيل المثال - ص: 32 و33.

7 - معهد الدراسات المصطلحية: الملحق الثقافي، الراية، ص: 10.

د . محمد أبحير

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني 30 -ب

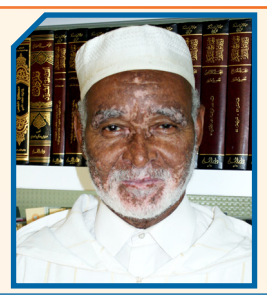

د . الحسين كنوان

1 – شكل الكتابة: "المستوى الإملائي": بين العموم والخصوص قدمنا في الحلقة الماضية (30 أ) جريدة المحجة عدد 475، أمثلة لمعالجة العنوان الفرعي أعلاه "المستوى الإملائي: بين العموم والخصوص". ولاحظنا أن شكل كتابة الكلمات يرد في اللغة العربية بصفة عامة، وفي أسلوب القرآن خاصة. في حين أن بعضها الآخر لا يرد إلا في أسلوب القرآن الكريم، وهذا ما يثبت خصوصية الرسم القرآني، والنوعان معا –أي شكل الكتابة الذي يرد في اللغة بصفة عامة والقرآن وما يختص به أسلوب القرآن– قلت والنوعان معا لا يخلوان من وظائف دلالية كل في سياقه. وقد واعدنا بتقديم أمثلة خاصة بالقرآن الكريم، كما أشرنا إلى أن شكل الكتابة أو مرسوم الخط كما اصطلح عليه يميز كل لغة من بين اللغات الإنسانية، وذلك ما نقدم أمثلة له فيما يلي:

– دور مرسوم الخط في تمييز كل لغة بين لغات الأمم:

يقول الزركشي: "واعلم أن للشيء في الوجود أربع مراتب: الأولى: حقيقته في نفسه. والثانية: مثاله في الذهن –وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم–، والثالثة: اللفظ الدال على المثال الذهني والخارجي. والرابعة: الكتابة الدالة على اللفظ –وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم، كاختلاف اللغة العربية والفارسية، واللفظ العربي والهندي، ولهذا صنف الناس في الخط والهجاء، إذ لا يجري على حقيقة اللفظ من كل وجه.." (البرهان في علوم القرآن 458/1).

يوضح الزركشي في النص أعلاه مراتب إدراك الأشياء وكيفية التعبير عنها، حيث ذكر أن هذه المراتب أربعة؛ اثنتان تتفق فيهما كل الأمم والشعوب، في حين أن اثنتين الأخيرتين اللتين هما: التعبير بلفظ خاص الذي يجسم بكتابة خاصة لا يمكن التسليم باتفاق الأمم فيهما، وهذا ما تجسمه خصوصية التعبير عن المشاعر المراد تبليغها للغير عند أفراد كل أمة بأصوات خاصة، وتسجيلها بأشكال مجسمة خاصة. ولولا تمثيل الزركشي لهذه المسألة بالمقارنة بين [حروف] اللغة العربية والفارسية و[ألفاظ] للفظ العربي والهندي. لولا هذا التمثيل لقلنا إن هذا الحكم الذي يعني اختلاف لغات الأمم في اللفظ والكتابة ليس على إطلاقه، بدليل استعماله عبارة: "وهذان –إشارة إلى اللفظ والكتابة– قد يختلفان باختلاف الأمم..."، فاستعمل حرف "قد" مع الفعل المضارع "يختلفان" لتفيد العبارة التقليل لا الإطلاق. وعليه يمكن القول بأن الاختلاف بين لغات الأمم في المسألتين المذكورتين واردة كما دلت عليه المقارنة بين العربية وغيرها مما ذكر، كما أن الاتفاق بين بعض اللغات محتمل باعتبارهما لغة واحدة، ثم أثرت فيها عوامل الكون المختلفة لتصير لغات متعددة، لكل نوع منها خصوصيته، وهذا ما يمكن الحسم فيه انطلاقا من القرآن الكريم، وفي هذا السياق يقول الحق سبحانه: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ (البقرة: 31)، وقال سبحانه: ﴿الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علمه البيان﴾ (الرحمن: 2).

ودون أن نخوض في أقوال علماء فقه اللغة والمفسرين بخصوص ما علمه الله لمخلوقاته من بني الإنسان؛ نسلم بأن الذي تعلمه آدم أصل لما تعلمه كل الناس، وعلم الإنسان بالألف واللام البيان، ولا شك أن وحدة المصدر المعلّم لهذا البيان توحي بوحدة هذا البيان في انطلاقته الأصلية، بيد أن هذه الوحدة الأصلية لا تنفي التفريع عبر مراحل الزمن الطويل، ولذلك نجد في كتاب الله ﷻ ما يدل على هذا التفريع الحادث بحيث يختص كل فرع من فروع الأمة الخاصة بمميزاته التي أنشأها محيط البيئة التي يعيش فيها أفراد تلك الأمة، ولذلك يختلفون عن أفراد غيرهم من الأمم في ألوانهم ولغاتهم، وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم: 22)، وقال عز من قائل: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (إبراهيم: 4). هذا بخصوص اللغة التي تمت الإشارة إليها عند الزركشي بكلمة [لفظ]. أما بخصوص الكتابة فيقول الحق سبحانه: ﴿علّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾ (العلق: 4–5). وقال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: 1).

ولا شك أن النطق باللفظ المعين بين أفراد الأمة يفرض كتابته بأشكال معينة تجسم أجزاءه مثل الحروف، وأبنيته من الكلمات وفي ما يؤكد هذه العلاقة بين اللفظ وشكل الكتابة يقول الزركشي: "وقال الفارسي: لما عمل أبو بكر السراج كتاب (الخط والهجاء) قال لي: أكتب كتابنا هذا، قلت: نعم إلا أني آخذ بآخر حرف منه، قال: وما هو؟ قلت: قوله: ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط" (البرهان في علوم القرآن 458/1).

لعل ما قدمناه من الأدلة يكفي –رغم قلته– دليلا على وجود تمايز بين لغات الأمم في المسألتين المذكورتين، والملاحظ بخصوص آخر عبارة في النص أعلاه أن العلاقة بين اللفظ وشكل الكتابة معللة بما يوحي بتجسيم معنى معين في شكل الكتابة، ولعل فيما قدمناه من أمثلة بهذا الخصوص في الحلقات السابقة مما يتعلق بشكل الكتابة في اللغة العربية بصفة عامة كفاية. بقي علينا أن نقدم أمثلة خاصة بمرسوم القرآن الكريم مما نبه إليه الزركشي، ونسب التفصيل فيه إلى ابن البناء المراكشي، وفي هذا السياق نقدم أمثلة بالقدر الذي يسمح به المجال، يقول ابن البناء: "فصل في الألف الناقص من الخط [يريد هنا ما ينتج عن إثبات الألف أو حذفها من تغيير المعنى مما اصطلح عليه في الرسم القرآني بالثابت والمحذوف. يقول:] كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود (إذا) اعتبر ذلك من جهة ملكوتية (أو صفة). [ويشرح معنى الملكوت بقوله: "ولما كانت المعاني تعتبر اعتبارين: [تعتبر] من باب الوجود بالفعل سواء كانت الآن محصلة (لنا) أو لم تكن، وتعتبر من باب الإدراك والعلم سواء كانت في الوجود أو لم تكن. كما انقسم باب الوجود على قسمين: ما يدرك وما لا يدرك، والذي يدرك على قسمين: ظاهر ويسمى الملك، وباطن ويسمى الملكوت.] حالية، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس، فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك.

و(إذ) اعتبر من جهة (ملكية) [أي الموجود الظاهر الذي يدرك كما هو مبين في النص [...] قبله] أو صفة (حقيقية) في العلم (و)أمور سفلية (ثبت) الألف. [أمثلة تطبيقية قال:] واعتبر ذلك في لفظتي القرآن والكتاب [عندما تكتبان بإثبات الألف، أو حذفها حيث يشار إلى مدّ الصوت بعلامة (ا) فوق الحرف الممدود صوته مما يسمى الحذف] فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب، وأظهر في التنزيل. قال الله تعالى في هود: ﴿الر كتب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود: 1). وقال في فصلت: ﴿كتب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ (فصلت: 3). وقال تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة: 18). ولذلك ثبت في الخط ألف القرآن (وحذف ألف الكتاب)".

وقد حذف [ألف] القرْءان في حرفين [أي كلمتين] هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار. قال (الله) تعالى في يوسف: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ (يوسف: 2). وفي الزخرف: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ (الآية: 3). والضمير في الموضعين [أنزلناه–جعلناه] ضمير الكتاب المذكور قبله..." (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل ص65 –بتصرف).

تاونات: المجلس العلمي المحلي ينظم ملتقى العالم المؤطر

في إطار ميثاق العلماء وتحت شعار "رسالة العالم المؤطر أمانة ومسؤولية" نظم المجلس العلمي المحلي لإقليم تاونات وبتنسيق مع المندوبية الإقليمية للشؤون الإسلامية وعمالة تاونات ملتقى العالم المؤطر يوم الأربعاء 23 جمادى الثانية 1438هـ الموافق 22 مارس 2017 بقاعة ملحقة عمالة تاونات. وقد تضمن الملتقى الذي أداره الأستاذ محمد بوخبزة عضو المجلس العلمي المحلي بعد افتتاحه بآيات بينات من الذكر الحكيم، الجلسة الافتتاحية تميزت بكلمات افتتاحية لكل من السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى ولرئيس المجلس العلمي المحلي وللسيد عامل اقليم تاونات والمندوب الإقليمي للشؤون الإسلامية بتاونات وممثل العلماء المؤطرين في إطار خطة ميثاق العلماء، في حين عرفت الجلسة الثانية الخاصة بالعروض والتي ترأسه الدكتور حسن العزوزي رئيس المجلس العلمي المحلي لمولاي يعقوب ومقررها ذ.الحسن البكري عضو المجلس العلمي المحلي لتاونات وتضمنت هذه الجلسة 4 عروض وهي:

الأول: قدمه الإمام ذ. احميد والحيوني من تاونات حول "رسالة العالم المؤطر: النشأة والأهداف".

والثاني: قدمه عضو المجلس العلمي المحلي لمولاي يعقوب الدكتور عمر الإدريسي حول موضوع "العالم المؤطر بين التكوين الذاتي والتأطير".

والثالث: قدمه الأستاذ الجامعي الدكتور محمد العمراوي حول موضوع "خصائص الأمانة العلمية في رسالة العالم".

والرابع: قدمه عضو المجلس العلمي المحلي لتاونات ذ.عبد الكريم احميدوش حول موضوع "العالم المؤطر بين الأمانة والمسؤولية".

وختم الملتقى بالدعاء الصالح لجلالة الملك وتلاوة برقية الولاء لمحمد جوهر عضو المجلس العلمي المحلي لتاونات.

يوسف السطي

من أوراق شاهدة

"ما أحسنها لو أنها على الطريق"

هكذا قال سفيان الثوري لرجل يعيب دابتيهما الضعيفتين مقارنة بدواب القوم التي سبقت دوابهم.. قال الرجل لسفيان: ذهب الناس يا أبا عبد الله وبقينا على حمر دبر، فكان جوابه العميق الفيصل "ما أحسنها لو أنها كانت على الطريق".

إن كثرة السائرين في طريق ما، من المطبلين لاتجاه ما، لا تعني أنها الطريق الصائبة.

وقد قرأت في السياق حكاية تقول إن عاملين ظلا يصعدان سلالم عمارة شاهقة حتى تقطعت أنفاسهما، وكان مصعد العمارة معطلا، وإذ وصل أحدهما إلى سطح العمارة قال لصاحبه: لي خبران لك، الأول: وصلنا نهاية السلالم، والثاني: أن العمارة إياها ليست التي نريد.

وفي سياقنا فإن الجهد الذي قد نبذله والعرق الذي نسفحه قد يكون بلا فائدة إن لم يكن في اتجاه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وقد استمتعت في الأيام الأخيرة بقراءة كتاب للشيخ الداعية محمد الغزالي تحت عنوان: "سر تأخر العرب والمسلمين"، وأثار انتباهي تأكيده على دلالات السنن الكونية التي تضع القواعد والشروط الحتمية للنهوض أو السقوط الحضاري. وأورد مجموعة من تلك السنن على سبيل الذكر في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ وقوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾. وقوله تعالى: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾. وقوله تعالى: ﴿لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾..

وما يحدث في العالم الإسلامي من انقضاض على مقدرات الأمة وإهانات متكررة للمسلمين، بأعنف جرعات، حد ضرب شابة مسلمة متحجبة في الشارع العام بدولة غربية، من طرف جماعة من الشباب الغربي الحاقد، لما يدمي القلب ويصيب باليأس. وإذا كانت البشارات التي تضمنتها القوانين الربانية السالفة الذكر وغيرها بكتاب الله تعالى قد جعلت بعد كل هذا العلو انكسارا للباطل، وأخبرنا سبحانه في طيات آيات عديدة بأن العاقبة للمتقين، فإن الشروط المفضية لتنزيل هذه البشارة لا زالت تراوح في مكانها وتعالج اندفانها في تلافيف الغيوم بسبب من انطماس معالم الطريق والران المهيمن على القلوب حد تمكن الإعجاب بالكثرة الخبيثة في نفوس أبناء المسلمين وتطبيلهم لهذه الكثرة، بل هوسهم بنموذجها في كل كبيرة وصغيرة وهرولتهم للتشبه بها، والطامة أنه تقليد بليد لا تلهمه عند الكثرة الخبيثة (وأقصد بالكثرة الخبيثة الاستعمارية منها) إلا القشور أما الإنجازات العلمية المذهلة فلا تحرك شجونا ولا تبعث هما للحاق بركب حضارات كان المسلمون هم سادتها وقادة رقيها وولوجها نادي التقدم والتألق.

إن هذا الإعجاب بالكثرة كما ورد في كتاب الله سبحانه أكانت من داخل الأمة أو من خارجها يعد مصيبة وكارثة حين يتعلق الأمر ب "كثرة خبيثة"؛ لأنها كثرة أنانية مبثورة التواصل مع القيم والأخلاق الربانية، ومرتبطة كما قال الشيخ الغزالي بأهوائها وغرائزها، وبالتالي فسقوطها هو سقوط لهم.. وتلك هي آفة التبعية كما فصل فيها المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله. والأنكى من ذلك حين يبز التلميذ أستاذه في تكريس تلك القشور فتصيبه التداعيات السلبية لتلك القشور بشكل أفدح من أصحابها.

وفي الواقعة التي سأحكي ما يغني عن كل تفسير، فقد انتشرت في السنوات الأخيرة حمى رهيبة في التهافت على مواد التجميل الخاصة بالشعر والجسد النسائي، وقد رأيت أمامي نموذجا لامرأة شابة، كانت سمراء البشرة وذات جمال عادي، هذه السيدة حين غزت المسلسلات الغربية التبخيسية للمرأة بيوت المسلمين، من خلال تشييئها وإحالتها إلى دمية لعوب في خدمة غرائز الرجل وأهوائه، انخرطت في تلك الحمى، وأحالت جسدها إلى حقل تجارب لتشقير الشعر وتبييض الوجه ونفخ الخدود ومؤخرة الجسد والصدر.. ورأيتها بعد ذلك حورية فاتنة، ببشرة بيضاء صقيلة كما لو قفزت من برنامج عالمي للنجوم، وقد كانت

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

سمراء كابية الملامح..

ما حدث بعد ذلك كان مأساويا بكل المقاييس فقد احترق وجهها بتلك المستحضرات التجميلية السامة المسرطنة، ودخلت في نوبة اكتئاب حادة انهار بعدها وزنها وترهل النفخ الذي تعهدته في جسدها، وغدت بشعة في ملامحها.. ولم ولن تلتفت الحركات النسائية بالدول الإسلامية إلى هذا الإرهاب والعنف الإجرامي ضد المرأة، وقد غلف ببهارات حقوق المرأة وحق التصرف في جسدها الخ. علما أن المواد القاتلة التي تلحق بتلك المراهم والصبغات والخلطات حركت المجتمع المدني الغربي ودفعته للاحتجاج ضد تجار البشر من الذين يسوقون خطابات الانتصار لتحرير المرأة بغرض ترويج بضائعهم الكاسدة المميتة.

وبالمحصلة هو طريق الكثرة الخبيثة، والإعجاب إياه رغم كل هذه الأخطار والمهالك لا يني يتقوى بل يجد من أبنائنا من يسوق بشاعاته تلك، باسم الحرية، ويشن غاراته الأشرس على طريق الحق باعتبارها تخلفا ونكوصا إلى العصور الغابرة.. وتلك إحدى سيناريوهات المستعمر الذي ألقم أبناء الوطن من العاقين وصفات هلاك المسلمين وأزاحهم من الطريق ورحل مطمئنا.

مسافات

ماذا لو تعطل النهار ؟

كثيرا ما يؤنسني الليل وأنا أبحث في ظلمته عن مخارج لهموم الحياة وعطلها، فيأسرني صمته المفتوح على عوالم الفكر والتدبّر في سرّ الظلمة، وسرّ السكون، وفي أسرار أخرى، تأخذنا ونحن في حانوت الأرض إلى الملكوت، فننتشي بالتسبيح والذكر أو تذهب بنا بعيدا حيث هرج الحياة، وقلة الحيلة، وتدافع المشاغل التي لا تكترث لتعب الإنسان وسأمه، يكفي أن تفتح نافذتك ليلا، وترفع رأسك إلى السماء بنجومه وأقماره ليأخذك هذا المشهد مسافات عن وجعك المخبوء في داخلك، فتنتشي الروح في العوالم ليصبح الليل ضدا أليفا، فيبدأ القلب في المناجاة:

يا هذا العالم الكبير الساكن فينا، والمنتشر في الأكوان، هل تقدر أغراس الأرض على رفع الظلمة؟ هل تقدر أن تغيّر ملامحنا، وتبدل آهاتنا أفراحا؟ هل تستطيع أن تلبس النور وتوزعه على العوالم أشكالا وألوانا؟ هل تستطيع أن تغيّر أقدارنا وتهدينا من الأحلام، ما يجعلنا جديرين بالحياة؟ هل.. تستطيع أن تغيّر القمر وتجفف النّهر وتخلق أنواعا أخرى من البشر؟ هل.. وهل... وهل...؟؟

هل تستطيع الطين أن تتشكّل فينا بصورة أخرى، ونحن أقرب ما نكون إليها، كم واحدا فينا فكّر في هذا، وهو يخالب الليل ويحاكيه.

يا الله، والإنسان يعلن رفضه للوصاية، ويروي أنه بفضل تطور العلوم وانفجارها لا يحتاج إلاّ إلى نفسه ليبرهن لها أنه قادر على صنع البقاء، وفرض ذاته وجودا متنصلا من الأبدية، رافضا للسلطة الدينية، الله بمعنى الواحدية، فيتجاهل ضعفه وقلة حيلته مع الأقدار بالتذمر منها بدل الاستئناس بالغيب، وتحفيز القلب على إدراك سر الكينونة.

يستبدل لفظة التوحيد بالطبيعة ويمني نفسه، بأن الطبيعة خلقت، والطبيعة رزقت، والطبيعة جمّلت، والطبيعة غضبت، فأغرقت الإنسان في شرّ أعماله.

فماذا لو تعطّل النّهار وأبقى الليل على كلكله؟ فهل للإنسان أن يرفع غطاء هذا الليل، ويشيع الأنوار في العوالم بالصورة التي تحفظ للوجود استمراره؟، وهل للطبيعة المخلوقة المسكينة أن تلعب أدوارا ليست لها في تغيير فلسفة العوالم؟.

أتصوّر بعض الأناسي أبطالا أو بيادق في لعبة للشطرنج، ابتكر قواعدها، من أسقط من فكره سؤال المصير، أو انتهى إلى الاقتناع بالعدمية، ففلسف ما حوله بالصورة التي تمنحه مشروعية الحديث، عن سلطة المادة وسلطة الذات، وسلطة العقل وسلطة العلم وأنواع أخرى من السلطات، تُسقط السّرّ الأعظم في بقاء الأكوان وحراكها وتستبدله بالطبيعة.

يا الله في تساميا ورقيّنا ونحن نتنفّس قلق السّؤال، بتوتّر المنتمي للمشيئة الإلهية.

ويا الله في ضحالة تقديرنا لمعنى الواحدية، ونحن نلبس عباءة الظلم بتفضيلنا لظلمة عقول تؤثر العيش بثقافة اللامنتمي للمشيئة الإلهية، حيث يسكن الليل، الذي يرفض النهار والضّياء والأنوار مقتنعا بالسرمدية الفكرية.

لست أدري، لماذا قفزت الآن إلى

ذهني أسماء آثرت أن تكون عدمية: هيدغر، شوبنهور، نيتشه، كيرغارد، جون بول ساتر وغيرهم كثر، واستطاعت بما قدّمت من أفكار، أن تقنع من قرأها وسمعها وعايشها بأن الحياة هو فن التمتّع بالعدمية وإنعاش العبثية ولكن في حضرة الموت وسكراته أعلنت صرختها المحتشمة "الآن فقط أيقنت خطأ فلسفتي أوتوني بقس" لتدرك بعد فوات الأوان أن الظلمة هي عذابات نفسية، وأنّ النهاريات عطاءات الله بسط أنوارها على البشرية.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (القصص:71).

فسبحان من خلق الأكوان، وجعل الضياء إعجازا ربانيا.

دة . ليلى لعوير

وضة

مخاض

تشير الساعة إلى الواحدة صباحا، تنطلق سيارة الإسعاف كالبرق، يسبقها صوت إنذارها... تتوقف فجأة.. الشارع مقطوع!

نصبت في مدخل الشارع صالة متنقلة للحفلات.. يصدح بها مكبر للصوت بأصوات "الطلبة" يرتلون القرآن الكريم جماعة.. يبدو أنها جنازة...

يترجل رجلا الوقاية المدنية.. يعزيان الواقفين أمام الخيمة:

ـ أعظم الله أجركم ورحم ميتكم... نريد المرور بسيارة الإسعاف إلى عنوان كذا.. ثمة سيدة فاجأها المخاض، وعلينا نقلها إلى المستشفى...!

ـ ما العمل؟! نحن في جنازة...

دلّهما أحد الحاضرين إلى طريق آخر...

هرولت سيارة الإسعاف.. توقفت فجأة... الشارع مقطوع!

ثمة قاعة متنقلة للأفراح تغلق الشارع، تضج غناء ورقصا.. يترجل رجلا الوقاية المدنية.. لا أحد يسمع نداءهما.. تقدم منهما رجل مرحبا.. قالا له:

ـ نريد المرور.. سيدة حامل وجنينها في خطر..!

رد الرجل: ـ الله يبارك فيكما .. تفضلا لكأس شاي وحلوى...!

كررا نداءهما.. لم يسمعهما.. سحباه بعيدا... أشار لهما نحو القاعة:

ـ ما لعمل؟! نحن في فرح.. كيف نهدم القاعة على العروسين والمدعوين!

تتوالى اتصالات أهل الحامل على إدارتهما..

تتوالى اتصالات إدارتهما بهما، وتوبيخهما على تأخرهما...

أرشدهما حارس سيارات: هناك زقاق ضيق كله درج يؤدي إلى ذلك العنوان..

هرولا مسافة بعيدة يحملان الحمالة وجهاز الأوكسجين.. يسود الزقاق ظلام حالك... يتعثران في الحفر.. يعترضهما شبان ثملون.. يسلبونهما كل ما في جيوبهما وجهاز الأوكسجين والحمّالة...

يرجوهم أحدهما:

ـ سيدة حامل وجنينها في خطر...!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

فَبِسَانٍ فَكْرِيَّةٍ

أيها الناس، دعوا الإسلام يعمل عمله

جاء الإسلام، خاتمة لرسالات السماء، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من خلال خير أمة أخرجت للناس، تحمل شارة التميز، وعلامة الريادة والشهادة، بفضل استيفائها لشروط ذلك التميز وتلك الشهادة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، والوسطية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 110)، وقوله جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143).

ويمثل جواب الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه عن سؤال رستم: "ما جاء بكم" لب رسالة الإسلام، فقد أعلن ذلك الجواب في صيغة بلاغ جازم ملؤه الاعتزاز واليقين بما يقول، لقد قال في أنفة وشموخ ذهل له رستم وقومه: "لقد ابتعثنا اللهُ لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

لقد سطر المسلمون في عهودهم الزاهرة صفحات مشرقة، مجسدين بكل صدق وإخلاص، وحب ووفاء، مضمون ذلك البلاغ الخالد، الذي عكس في عبارة بليغة موجزة، معالم النموذج المجتمعي والحضاري لأمة الإسلام، الذي يتأسس على قاعدة صلبة من القيم النبيلة السامية، ويدعو بالحال قبل المقال، شعوب الأرض قاطبة، للدخول في السلم كافة. ولقد شكلت عهود الإسلام في تاريخ الإنسانية عهودا للرحمة والأمان، والسلم والاطمئنان، ظلت تترسخ وتتوسع باطراد، تبعا لاكتساب فتوح الإسلام مزيدا من المواقع والمساحات.

غير أن عوامل نكدة، ترجع في العمق والأساس لتفريط المسلمين وغفلتهم ونكوصهم عن منهج الدين القيم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ عملت على نقل الكيان الإسلامي من القوة إلى الضعف، ومن التماسك إلى التفكك والارتخاء، ومن العزة إلى الذلة، ومن الفعالية إلى العجز والخواء. وإن الناظر إلى أحوال المسلمين اليوم في وضعهم الكسيح، وصورتهم المليئة بالندوب والتشوهات، وكيانهم المنخور بالعلل والعاهات، ليكاد يقضي حيرة وعجبا، وغيظا وغضبا، من هذا الإمعان في التردي، وهذا الاستمراء الغريب، من طرف المسلمين، وخصوصا من يمسكون منهم بمقاليد السلطة ويتحكمون في دواليب الأمور، لهذا الواقع الموسوم بأحط أمارات البؤس، والبعد عن الحد الأدنى لشروط المجتمع الإنساني الراشد الذي يستحق التقدير والاحترام، ويتخذ لنفسه مكانا لائقا في دنيا الناس.

لقد أصبح من الوضوح، بل ومن السفور، بمكان، في المشهد العام، بكل أبعاده: السياسي التدبيري، والاجتماعي الاقتصادي، والقيمي الأخلاقي، وجود عربدة طاغية، وحركة بالغة الشراسة لمعاندة الإسلام، ليس على مستوى عودته للإشراف على الحياة، في جميع مناشطها ومجالاتها، فذلك شأن آخر دونه، في الوقت الراهن، خرط القتاد، ولكن على مستوى القضاء على البقية الباقية من الممارسات التي تحمل رائحة الإسلام في المجتمع، تحت دعاوى وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان، في إصرار بين، على تجفيفه من كل قطرة من قطرات الوعي الإسلامي، أو ذرة من ذرات الاتصال بمرجعية الإسلام وثقافته، وإخضاعه النهائي للقالب العلماني، ليصبح قطعة طيعة في جغرافية الغرب، تلبس لبوسه، وتصطبغ بصبغته، وتنخرط في تحقيق أهدافه.

إن لسان حال ومقال قوى متنفذة في مجتمعنا، وهي تطارد كل صوت أو قيمة من قيم الإسلام، ما جاء في قوله تعالى حاكيا عن المناوئين للإسلام: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: 26)؛ لأنها تدرك بقرائن الأحوال أن لهذا القرآن سلطانا على النفوس، وأنها لا تملك، إذا ما خلي بينها وبين نوره، إلا أن تنغمر فيه، وتهتدي بهداه. لقد كتب العلامة الشيخ أبو الحسن الحسني الندوي رحمه الله كتابه الخالد: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لبيان الفرصة الذهبية التي ضاعت من الإنسانية، جراء إفلات زمام القيادة ممن وكل إليهم أمر إبلاغ الإسلام إلى من يجهل حقيقته من الشعوب والأمم الشاردة، وإعطاء القدوة في تمثله وتطبيقه، وما أحرانا أن نقول، على غرار ذلك: ماذا خسر العرب والمسلمون بنكوصهم عن الإسلام، بل بمحاربته ونقض عراه، والتكالب على من يسعون إلى حمل لوائه والدعوة إلى احترامه، ولو في بعض جزئياته ومكارمه.

إننا نقول بملء أفواهنا ونصرخ ملء كياننا: أيها الناس، دعوا الإسلام يعمل عمله، فأنتم إن ساهمتم في عرقلته وتعطيله إلى حين، فإن نوره لا يلبث أن ينفجر ولو بعد حين، فتلك سنة رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: 8).

ناطحو الصخور

على غرار متسلقي الجبال ومكتشفي المغارات والكهوف، والمغامرين في بعض الألعاب والرياضات كالتزلج على أعالي الجبال، والتجديف في أخطر الأنهار، والقفز العمودي من أعالي الجسور، هناك ناطحو الصخور، وللناس فيما يرغبون مقاصد! جذور هذا المصطلح تغوص في عمق التاريخ الإنساني، فمع كل رسالة سماوية كان معارضون يقفون أمام الرسالة وأتباعها بالمرصاد: يفتنون ويقاومون ويحاولون بأقصى جهدهم أن يطفئوا نور الهداية والإيمان..

ولكن الرسالة تنتصر وتستمر، وينهزم المكذبون الجاحدون فتختفي آثارهم ولم يبق من أخبارهم إلا بعض ما حملوا من أوزارهم وأوزار من أضلوهم..

وقد عاش شاعرنا الأعشى مثل هذه التجربة في محيطه الاجتماعي فلاحظ أن بعض خصومه يحاولون طمس الحقائق، وإلباس الباطل لباس الحق، وهم في غاية الجبن والضعف، فقال:

كناطح صخرة يوما ليفلقها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وتستمر التجربة؛ لأن النطاح لم يعتبروا من هزيمة من مضوا، ويحسبون أنهم أدق في التصويب، وأقوى في النطح..

ولكن النتيجة واحدة لا تتغير ولن تتغير. خلفية هذا العنوان تنطلق من قراءات وسماعات ومشاهدات وقرارات مراجعها كتب ومقالات، وقنوات ومواقع في (الشابكة) تتنافس على استحضار النطاح من كل حدب وصوب، وباختلاف اللغات واللهجات من أجل نطح صخور العقيدة والأحكام وقواعد السلوك بغية إحداث شقوق أو خدوش أو تلوين الصخور بما تشاء أهواؤهم من المكر والكيد..

ومن هؤلاء النطاح معارف ونكرات من دكاترة وأساتذة وباحثين ومتخصصين في معارف وفنون شتى، رضعوا لبن الجحود وإنكار الحق، وتعلموا مساحيق المعرفة لتزيين الصور والهياكل، وظنوا أنهم وصلوا قمة المجد، ولم يعد لهم من هم غير الهدم والردم، والقدح والنطح فيما مضى وغبر، واحتضان ما وفد من السقط بديار الفسق واستقر، أجمعوا أمرهم على التنقيص من كمال الدين، ومهاجمة المتشبثين به والتحريض على معاداتهم لئلا يروا ولا يسمعوا ما ينغص عليهم حياتهم من منهج الحق سبحانه: افعل ولا تفعل..

لقد غاضهم ما يسمعون أو يقرؤون، وما يرون من ثقة أهل الإيمان بدينهم واعتقادهم نظرا وعملا بأن الإنسان جسم وروح، وأن الحياة دار ابتلاء واختبار، وأن الجزاء على العمل آت لا ريب فيه، فأعلنوا الحرب على كل قديم، وشرعوا في الكيد للمؤمنين، بإثارة الشكوك في عقيدتهم، والتنقيص من مكانة أعلام الأمة، والطعن في مقاصدهم وأهدافهم، وليس لهم من مؤهلات لما يخوضون فيه غير فقاعات ومصطلحات بها يتنفسون ومنها يتعيشون، فراح بعضهم يقامرون في الحديث الشريف ينزعون نصا من محيطه ويصبغونه بما يشتهون من ألوان، وما يرمون إليه من أبعاد، يخوضون فيه خوض الجاهل الغريق دون دليل أو رفيق.

وذهب آخرون إلى الفقه الإسلامي فكتبوا وطعنوا، وتكلموا وهاجموا فانكشف جهلهم، وظهر حقدهم، فضلوا وأضلوا، وهم أبعد ما يكون من سمت الفقه نظرا وعملا.

وأسقط آخرون نظريات تخصصاتهم في العلوم على نصوص من القرآن والسنة بقصد كشف الخلل -كما يدعون- فاختلوا وهاموا في التيه وما زالوا..

وصرخ آخرون في محافل إعلامية ومراكز علمية ومجالس عمومية وخصوصية: أبعدوا هذا الدين من حياتنا، جففوا منابعه، حتى لا يبقى له أثر، ولا يسمع له خبر.

ولكن.. ولكن الدين باق، محفوظ لأهله، به يعيشون، وعليه يموتون، لا يخافون إلا الله، ولا يرغبون إلا فيما عنده، وإليه المرجع والمصير.

فماذا بقي لناطحي الصخور؟

أقول لهم: حافظوا على نواصيكم، هونوا على أنفسكم، حكموا عقولكم، وراجعوا أنفسكم، وقوموا أعمالكم قبل أن تقوم عليكم. وأنتم تعلمون أنه كان أناس قبلكم سددوا سهامهم لهذا الدين فتكسرت، وحاربوه بأسلحة زمانهم فنبت وفلت، وبقي الدين وسيبقى صامدا شامخا سليما معافى لا يضره صراخ المنكرين الجاحدين، ولا هتاف الجاهلين الحاقدين، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

ذ. محمد المرنيسي

أوراق التوت تسقط تباعا...

بنبض القلب

ذ. أحمد الأشهب

كثيرا ما ينعتنا الغرب نحن -دول العالم الثالث- بأن سبب تأخرنا يقع في جزء كبير منه على تغييب الديمقراطية وسوء الحكامة في تدبير الشأن العام والمحلي، وفي هذا غير قليل من الصحة، فلا أحد ينكر أن الاستبداد السياسي والاستحواذ على الثروات من قبل حفنة من الوصوليين الذين فصَّلوا الدستور على مقاسهم، ووضعوا الجيش والشرطة تحت سطوة ديكتاتوريتهم، كانت وما تزال الحجر الذي يحيل جهودنا عثرات... غير أن هذا الغرب الذي يلعب دور الأستاذ ويقوم بتنقيطنا وترتيبنا في سلم المنعم عليهم، أو المغضوب عليهم هو الآخر في حاجة إلى من يقوم بتقويم اعوجاجاته في مجالات الديمقراطية وحقوق الإنسان وسوء الحكامة... ألم تنكشف عورة فرنسا على فضائح يندى لها جبين الديمقراطية، فهذا "فرانسوا فيون" مرشح الحزب الجمهوري يوظف زوجته كشبح بمبالغ خرافية، وهذا وزير الداخلية المستقيل يوظف ابنتيه القاصرتين كمساعدات في البرلمان، وهما ما زالتا تلميذتين في الثانوية. وهذه هولندا تمنع تجمعا خطابيا لوزير تركي تحت ذريعة التأثير على الناخب التركي في الاستفتاء المزمع تنظيمه في تركيا، هذه أمريكا وألمانيا وفرنسا وكل دول الغرب تدعم أنظمة استبدادية لأنها توافق هواهم في الهيمنة على مقدرات الشعوب... فعن أية ديمقراطية يتحدثون؟!!... وهم يدعمون الديكتاتوريات في كل مكان... إنها لعبة الأقوياء الذين جعلوا منابر الأمم المتحدة ومجلس الأمن أداة لقهر الشعوب، وفرض الحروب، وإشعال نار الفتن في قلب العالم العربي والإسلامي تحت أجندة محاربة التطرف والإرهاب... إن عقلائنا من سياسيين ومثقفين وعلماء دين مدعوون إلى تنبيه الأمة إلى الأخطار المحدقة بها داخليا وخارجيا، وتكوين جيل وسطي بعيد عن الغلو والتطرف، متسلح بثقافة شرعية منفتحة ومتفتحة قوامها الإسلام المعتدل الذي يضع الحياة يدل صناعة الموت، ويساهم في الرفع من قدرتنا على تحدي الخصوم من منظور العلم ونشر قيم العدل لا من خلال نشر الرعب وتضبيب الرؤية لدى الآخر ... ستظل أوراق التوت تسقط تباعا بالرغم من كل مساحيق الديمقراطية الغربية، وسنشل نحاول نفي التهمة عن إسلامنا بمحاولات ساذجة ... لأننا باحترابنا الداخلي والولوغ في دماء بعضنا البعض، اخترنا موقع المتهم -بفتح الهاء- بدل موقع المتهم -بكسرها-...

اللغة العربية الأكثر نموا في أمريكا

حققت اللغة العربية انتشارا واسعا في الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت الأولى من حيث سرعة النمو في هذا البلد، إذ ينطق بها أكثر من مليون شخص في البيوت، وفقا لبيانات جديدة.

وتُعد "العربية" اللغة الرسمية لأكثر من 20 دولة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتنتشر في هذه البلدان بفضل ارتباطها بالإسلام.

ومع توافد المسلمين، وكونهم الكتلة الأسرع نموًا من المهاجرين الجدد إلى الولايات المتحدة، فقد أصبحت اللغة العربية أكثر شيوعًا في أمريكا برمتها.

وتوضح البيانات أن العربية ليست "اللغة الإسلامية" الوحيدة التي تجتاح الولايات المتحدة، فتندرج اللغة الأردية، وهي اللغة الوطنية في باكستان في قائمة اللغات الـ 10 الأوائل من ناحية سرعة النمو في الولايات المتحدة الأمريكية. وتضم اللائحة أيضا اللغات الهندية والصينية، وهمونغ (جنوب شرق آسيا).

وحسب البيانات، ارتفع عدد المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي 1980م و2014م ممن يتكلمون لغة أخرى غير الإنجليزية في المنازل من 23.1 مليون إلى 63.2 مليون، أي من 11 في المئة إلى 21 في المئة.

وأظهرت البيانات أن 41 في المئة من المقيمين يجدون صعوبة في التحدث باللغة الإنجليزي.

محجَّبات لندن يحتشدن على جسر "ويستمنستر" للتنديد بالإرهاب

شهدت بريطانيا أول تجمع من نوعه في تاريخها، حيث احتشدت سيدات محجبات صفاً واحداً على طول جسر ويستمنستر الملاصق لمبنى البرلمان البريطاني وسط لندن تعبيراً عن احتجاجهن ورفضهن للعملية الإرهابية التي استهدفت المشاة في نفس المكان قبل أيام، عندما قام رجل بدهس عدد كبير من المارة والسياح قبل أن يقوم بطعن شرطي حتى الموت.

وأمسكت العشرات من النساء المحجبات بأيدي بعضهن بعضاً صفاً واحداً على طول الجسر من أجل أن يقلن للبريطانيين: إن العمل الإرهابي لا يمثل المسلمين، وإنهن يرفضنه بشكل كامل، وأحيين على طريقتهن الخاصة ذكرى الضحايا الأربعة الذين سقطوا في العملية التي هزت وجدان البريطانيين وتبناها تنظيم داعش.

واستمرت الوقفة لخمس دقائق فقط، لكنها استحوذت على اهتمام كبير من وسائل الإعلام البريطانية، حيث تقاطر العديد من المصورين والصحافيين إلى المكان من أجل تغطية الوقفة النسائية، فيما ارتدت بعض السيدات

المشاركات في التجمع الملابس الزرقاء، أو الحجاب الأزرق، وأبلغن الصحافيين أنهن اخترن اللون الأزرق تعبيراً عن الأمل بالمستقبل.

وأكدت تقارير صحافية محلية في بريطانيا، نقلتها "العربية نت"، أن نساء مسلمات من مختلف الخلفيات والعرقيات، شاركن في الوقفة الاحتجاجية التي تم تنظيمها للتنديد بالعملية الإرهابية التي استهدفت عدداً من الأبرياء في ذلك المكان، فضلاً عن أن بعض السيدات جئن من مدن أخرى خارج لندن للمشاركة في هذه الوقفة والتعبير عن تضامنهن مع عائلات الضحايا.

فلسطين: دعم الاستيطان يهدف لعرقلة الجهود الأمريكية لاستئناف المفاوضات

دولة فلسطين
وزارة الخارجية

قالت وزارة الخارجية الفلسطينية: إن الدعم المالي الإسرائيلي الرسمي للاستيطان، يهدف إلى عرقلة الجهد الذي يبذله الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، لإحياء عملية السلام والمفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

وأشارت الوزارة في بيان اليوم الثلاثاء (28 آذار/ مارس 2017)، إلى أن لجنة المالية التابعة للكنيست الإسرائيلي أقرت تحويل مبلغ 27 مليون شيكل (7.5 مليون دولار) لمجالس المستوطنات في الضفة الغربية، بالإضافة إلى 30 مليون شيكل (8.3 مليون دولار) لحماية الحافلات التي تقل المستوطنين، في خطوة استيطانية استفزازية تهدف إلى تعكير الأجواء الإيجابية التي تركتها زيارة مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون المفاوضات الدولية إلى المنطقة.

وطالبت الوزارة المجتمع الدولي، وفي مقدمته إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بالضغط على الحكومة الإسرائيلية لوقف إجراءاتها الاستفزازية أحادية الجانب، التي تمس بالجهود الأمريكية المبذولة لإطلاق المفاوضات، كما دعت الوزارة منظمات الأمم المتحدة وفي مقدمتها اليونسكو، إلى تحمل مسؤولياتها في حماية الأماكن المقدسة في فلسطين من عبث الاحتلال، بما يتوافق والقرارات الأممية ذات الصلة.

أخبار سريعة

● **خمس مؤسسات مالية فرنسية تساهم في تمويل الاستيطان الإسرائيلي**

أكدت الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان في تقرير الأربعاء 29 مارس 2017 أن خمس مؤسسات مالية فرنسية، هي أربعة مصارف وشركة تأمين، تموّل الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلّة عن طريق مشاركتها في مصارف وشركات إسرائيلية تعمل في المستوطنات.

● **القمة العربية الثامنة والعشرون تنطلق بالأردن**

انطلقت يوم الأربعاء القمة العربية في دورتها الـ28 التي تعقد في منطقة البحر الميت، حيث سينظر القادة المشاركون في جملة قرارات تخص القضية الفلسطينية إلى جانب أزمات المنطقة.

● **جبهة "سامير" تستنجد بالدولة لإعادة المصفاة إلى الإنتاج**

طالبت الجبهة المحلية لمتابعة أزمة "سامير"، الدولة بإعادة تشغيل مصفاة المحمدية، في أقرب الآجال، مع حماية المساهمات المهمة لصناعات تكرير البترول لفائدة المغاربة، والعمل على تقنين ومراقبة قطاع المحروقات وعودة المساهمات العمومية في الرأسمال.

● **سفارة روسيا بالرباط تكشف ملابسات زيارة البوليساريو لموسكو**

أثارت زيارة وفد من البوليساريو، الأسبوع الماضي، للعاصمة الروسية موسكو، جدلا، خاصة وأن الإعلام المروج للأطروحة الانفصالية اعتبر لقاء الوفد بممثل بوتين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نصرا لصالح الجبهة، ما دفع بسفارة روسيا بالرباط إلى إصدار بيان لكشف ملابسات هذه الزيارة.

● **التويجري يقدم درع الإيسيسكو إلى المشير عبد الرحمن سوار الذهب**

قدم الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- درع الإيسيسكو الذهبي إلى المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، وذلك في أعقاب مراسم التوقيع الاثنين الماضي في الخرطوم، على برنامج التعاون بين الإيسيسكو والمنظمة.

● **رئيس البرلمان الأوروبي يحذر من تحول القارة الإفريقية إلى "مستعمرة صينية"**

أعلن رئيس البرلمان الأوروبي انطونيو تاجاني في عدد صحيفة "دي فليت" الألمانية للأربعاء أن القارة الإفريقية، أحد أبرز شركاء بكين الاقتصاديين، "قد تتحول اليوم إلى مستعمرة صينية".

وقال "قد تصبح إفريقيا اليوم مستعمرة صينية. الصينيون لا يريدون سوى الاستيلاء على المواد الأولية. استقرار المنطقة لا يهمهم".

وتنشط المؤسسات الصينية أكثر وأكثر في إفريقيا منذ حوالي عشرين سنة خصوصا في مجال الموارد الطبيعية. وفي 2015 قدرت المبادلات بين القارة الإفريقية وبكين بـ180 مليار دولار (160 مليار يورو).

● **بريطانيا تخطر المجلس الأوروبي ببدء خروجها من الاتحاد**

وقعت رئيسة الوزراء البريطانية تريزا ماي رسالة تفعيل المادة 50 من معاهدة لشبونة، والتي بمقتضاها تبدأ بريطانيا رسميا إجراءات الخروج من الاتحاد الأوروبي، وسيتم تسليمها، اليوم الأربعاء، إلى رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك.

● **أميركيات انتقلن من الإلحاد إلى الإسلام قدَّمن الترجمة الأكثر انتشاراً للقرآن**

كُتبَت واحدةٌ من أكثر الترجمات الإنكليزية للقرآن الكريم تأثيراً وأوسعها انتشاراً بيد ثلاث نساء أميركيات اعتنقن الإسلام في الثمانينات، ويعشن ويعملن الآن في المملكة العربية السعودية.

لكن ما يجعل ترجمة "صحيح إنترناشيونال" للقرآن مختلفةً جداً عن غيرها من الترجمات النسائية للقرآن هو أنها لا تحمل تأويلاً نسوياً لبعض آيات القرآن.

الكونغرس الأمريكي يرفض تشريعا لحماية الحياة الخاصة على "الإنترنت"

رفض الكونغرس الأمريكي يوم الثلاثاء نصا تشريعيا يهدف لحماية الحياة الخاصة على الإنترنت، في خطوة ستتيح لمزودي الإنترنت الاستمرار في بيع البيانات الشخصية لزبائنهم إلى أطراف ثالثة من دون الحصول على ترخيص صريح من أصحاب العلاقة.

وهذا النص التشريعي الذي أدخلته إدارة أوباما في 2016 على القواعد التنظيمية للجنة الاتصالات الفيدرالية ولكنه لم يدخل بعد حيز التنفيذ، صوّت مجلس الشيوخ الأسبوع الماضي لمصلحة إلغائه، وكذلك فعل مجلس النواب يوم الثلاثاء، علما بأن الجمهوريين يسيطرون على الكونغرس بمجلسيه.

وأثار إلغاء هذا النص التشريعي قلقا وسجالا حادا في الولايات المتحدة ولا سيما في أوساط المنظمات الحقوقية المتخوّفة من إمكانية أن تكشف هذه الشركات عن بيانات خاصة جدا بمستخدميها مثل سجل التصفح الخاص بهم أي المواقع التي زاروها والتي يمكن أن تكشف عن انتماءاتهم الدينية والسياسية وميولهم الجنسية ووضعهم الصحي أو أماكن وجودهم.

ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن ناتاشا دوارتي المسؤولة في مركز الديمقراطية والتكنولوجيا قولها: إن "هذه المعلومات تعتبر من بين الأكثر حميمية في حياة شخص ما، يجب أن يتمكن المستخدمون من السيطرة على ما تفعله الشركات بهذه المعلومات"

تراجع كبير في الالتحاق بالجامعات الأمريكية بسبب موقف ترامب من الإسلام

تسببت السياسات الخارجية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب في رفض الطلاب الأجانب الالتحاق بالجامعات الأمريكية، حيث يعبر كثير من الطلاب عن خوفهم، في ظل تغير موقف الولايات المتحدة تجاه الإسلام، وبحسب موقع "يونيفرسيتي هيرالد" الأمريكي المعني بشؤون الجامعات الأمريكية، فإن 40 في المئة من الجامعات الأمريكية، تشهد تراجعاً كبيراً في طلبات الالتحاق بها من الخارج.

وأضاف الموقع: إن أكثر من 250 مؤسسة تعليمية أمريكية، شاركت في استطلاع للرأي من المقرر أن يكشف عن تفاصيله بالكامل نهاية مارس الجاري، وحتى الآن أقل من 35 في المئة من الجامعات الأمريكية، شهدت زيادة في طلبات الالتحاق الدولية، في حين أن 26 في المئة تحدثوا عن أن وضعهم لم يتغير.

وربط تراجع طلبات الالتحاق بقرار ترامب، حظر سفر مواطني عدد من الدول ذات الأغلبية المسلمة للولايات المتحدة، فكثير من الجامعات الأمريكية لديها طلاب وأعضاء هيئة تدريس من الدول، التي شملها قرار حظر السفر الأول.

وذكر الموقع أن تراجع طلبات الالتحاق حدث أيضاً من قبل الصينيين، فالصين والهند يقدمان نحو 50 في المئة من الطلاب الدوليين الملتحقين بالجامعات الأمريكية، وأكد أن التراجع الأكبر في طلبات الالتحاق كان من قبل دول الشرق الأوسط.

كندا تقر قانوناً ضد الإسلاموفوبيا

أقر مجلس العموم الكندي بتشجيع كبير من حكومة رئيس الوزراء جاستنترودو الخميس، مشروع قانون يمهد الطريق أمام إجراءات مستقبلية من أجل محاربة ظاهرة الخوف من الإسلام أو معاداة الإسلام.

ويدعو مشروع القانون الذي تم إقراره بسهولة الحكومة إلى "إدراك الحاجة للقضاء على المناخ العام المتزايد من الكراهية والخوف" و"لإدانة الإسلاموفوبيا وكل أشكال العنصرية والتفرقة الدينية المنهجة".

في الحب الشريف

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

جرت سنة المغاربة، في المناسبات الدينية الاجتماعية، على أن يجتمعوا في البيوت، وأن يتناشدوا المدائح النبوية، التي تكشف عن عمق تعلقهم بالحب الشريف، حب رسول الله ﷺ. فهم قد يتمايلون ولها، ويعينون المنشد على الإيقاع الجماعي. وهذه المدائح النبوية قد تكون من المألوف إنشاده، مثل بردة البوصيري، وهمزيته، وعينية السهيلي التي مطلعها:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المعدّ لكل ما يُـتوقع

وقد تكون من الأقل ألفة وشيوعا.

وقد يختلف المنشدون في ضبط بعض الكلمات، إما اجتهادا وإما قصورا، كأن يقرأ بعضهم (المعدّ) على أنها اسم فاعل، أو على أنها اسم مفعول، كما أن بعض الأبيات قد تلحقها أخطاء شنيعة، وتتكرر في الحلقات، كما في هذا البيت:

إني مددت يدي بالذل خاشعة
بالذل يا خير من مُدت إليه يدُ

فأكثرهم ينشده بلفظ: (يـدَيْ)، بفتح الدال وتسكين الياء، وهو خطأ لا يعرف له وجه، وكأن من أخطأ أول مرة أراد تثنية اليد فأخطأ، فسرى غلطه إلى غيره من الناس، وإنما الصواب: (يدي) بالمفرد.

وقد لا يلتفت كثير من الحاضرين إلى معاني ما يُنشد، بقدر ما يلتفتون إلى الإيقاع، رغم أن بعض ذلك الشعر جميل جدا، وإن كان كثير منه ذا بعد رمزي، ولاسيما قصائد التصوف. والرمزية في الشعر مذهب عربي قديم، لم يستورده العرب من الغرب، كما يظن بعض الجهلة. وقد قال عبد الله الطيب، رحمه الله، وهو أحد جهابذة النقد في العصر الحديث، في كتابه: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ص 728. (أليس البدو، أهل الفلوات العراض والتأمل الواسع، والخلوة الطويلة، من أقدر خلق الله على خلق الرموز وتقبلها، حتى إن أحدهم ليرمز إلى نفسه وآماله وآلامه بالناقة والظليم؟). واستئناسا بهذا القول الذي يميل إلى رمزية الشعر العربي، وأيضا لما عرف من رمزية الشعر الديني، رأيت الوقوف مع مطلع قصيدة مدحية مشهورة، وهو:

جدّ في رحلها فلستَ تُلام
هذه طيبة وهذا المقام

فهذا البيت يبدأ بفعل أمر: (جِدَّ)، أي اجتهد، وابذل الجهد، ولا تتوان. والرحل معروف، كناية عن الناقة، وكانت الناقة عند العربي، وهي وسيلة تنقله بين المضارب والديار، أثيرة عنده، لا يكاد يعدل بها شيئا. فإذا ذبح العربي ناقته للضيف فقد بالغ في الكرم. ولحرصه عليها فهو يحدب عليها ويعتني بها عناية خاصة، ولا يجهدها، ولا يحملها فوق طاقتها، إلا إذا أراد الشاعر المبالغة. ولذلك تقول العرب: (إنّ المنبتّ لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع). فلذلك يصف الشعراء الناقة بالجلد والتحمل، ومع ذلك لا يبالغون في إجهادها. وأما شاعرنا في هذه المدحية النبوية فهو يدعو صاحبه ألا يرثي لناقته، كما قال الأعشى في مدحيته لرسول لله ﷺ:

فآليت لا أرثي لها من كلالة
ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

إذ لما كان الغرض شريفا وعظيما، فلا بأس من إجهاد الراحلة وحثها على الإسراع. وهنا، يأتي الرمز لنقول إن المخاطب على الحقيقة ليست الراحلة، بل هي النفس الأمارة التي ينبغي مجاهدتها وحثها على الإسراع في سبل الخيرات لترتقي إلى منزلة النفس اللوامة، فالنفس المطمئنة. والحافز في هذه الرحلة هو ما ذكره في الشطر الثاني، وهو قوله: "هذه طيبة وهذا المقام"، وطِيبة، بكسر الطاء، هي المدينة المنورة، سماها بذلك رسول الله ﷺ، بعدما كان اسمها في الجاهلية: "يثرب"، فنهى عليه السلام عن تسميتها بذلك الاسم الجاهلي؛ لأنه من التثريب الذي هو الفساد. قال عليه السلام: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله تعالى، فإنما هي طيبة وطابة».

وللمدينة أسماء متعددة، وذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضع باسم (المدينة). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: 120).

وأما (طَيبةُ)، بفتح الطاء، فهي مدينة بمصر القديمة. وهي مدينة متحفية فرعونية قديمة بمصر العليا، وهي (الأقصر) اليوم، كانت مركز عبادة رع. فهذا هو الفرق بين "طِيبة" بكسر الطاء، المدينة المنورة، وطَيبة، بفتحها، المدينة المصرية القديمة. وهذا معنى قول الشاعر: (هذه طيبة)، فكأنه يرى المدينة المنورة، حتى وهو لم يبرح مكانه البعيد، منطلقا إليها، وهي الرؤية القلبية التي تحدث عنها الشعراء، وهذا وجه آخر من وجوه التعبير الرمزي. فالعاشق المشوق يرى ديار الأحبة حتى وهو بعيد، ولذلك قال الشاعر، وهو امرؤ القيس:

تنورتها من أذرعات وأهلها
بيثرب أدنى دارها نظر عال.

وشتان ما بين أذرعات ويثرب في المسافة. هذا الاجتهاد في السير مرده إلى المحبة التي هي جوهر العبادة، محبة الله ورسوله ﷺ، وهو ما عبر عنه الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

إلى أن نلتقي

الخطب المنبرية... والدور المنشود (5)

مراعاة مقتضى الحال ودوره في الإقناع والتأثير

يعد مبدأ مراعاة مقتضى الحال مبدأ أساسيا في إفهام المخاطَبين، كيفما كان حال المقام الخطابي. ذلك أنه لا إقناع ولا تأثير في المخاطَبين، ولا اقتناع ولا تأثُّر من قِبَلهم دون إفهام الخطيب لهم، ودون فهمهم وتفهُّمهم هم أيضا لما يقوله الخطيب. فمدار البيان كما يقول علماء البيان على الإفهام والتفهُّم وعلى البيان والتبَيُّن. ومن ثَمَّ فإن مبدأ مراعاة مقتضى الحال يقتضي من المتكلم معرفة ما يتعلق بأحوال السامعين ومستوى إدراكهم لما يقوله لغةً ومضمونا وسياقا ومَقاما.

ولعل من مسلمات مبدأ مراعاة مقتضى الحال أن يكون المتكلم على علاقة وطيدة بالمخاطبين، بمعنى أن يكون أحد أفراد مجتمعهم المعروفين؛ لأن ذلك أدعى إلى الإفهام والتفهم؛ لأن المتكلم إذا كان كذلك، فإنه يُفترض أن يكون أعرف بالمخاطبين وبعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم.

ومن أجل ذلك كان كل رسول يبعث إلى قومه الذين يعرفهم ويعرفونه. ولقد أوضح القرآن الكريم هذا الجانب باستعماله لمفردات تفيد هذا الرباط الوثيق بين الرسول والمرسَل إليهم. ومن هذه المفردات: الأخ والصاحب. كالذي نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وقوله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، وقوله سبحانه مخاطبا مشركي مكة: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.. إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد هذا المبدأ الأساسي في التواصل والتفاهم.

وأما اللغة فإني لا أقصد الفصحى والدارجة، فالفصحى درجات، والعامية هي الأخرى درجات، وإذا كانت خطبة الجمعة قد شُرِعَت للوعظ وإرشاد الناس إلى ما فيه خير الدارين، فإن ذلك لا يَتِمُّ إلا إذا كانت باللغة التي يفهمها عامة المخاطَبين، ومن ثم وجب تجنُّب الغريب والسجع في الفصحى، بقدر تجنُّب العامي المرتذَل إن أراد الخطيب تقريب المعاني من أذهان السامعين، فالخطبة رسالة، ورسالة جميع الأنبياء كانت بألسنة أقوامهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. واللسان هنا لا يقتصر على اللغة في إطارها العام فقط، ولكن أيضا في بنيتها المعجمية والتركيبية. ولهذا كان رسول الله ﷺ يخاطب كل قوم بما يسهل عليهم فهمه، تبعا لمستويات إدراكهم. ففي كتبه ﷺ إلى ملوك الأرض في ذلك الوقت، نجد تفاوتا لغويا واضحا؛ لأن الملك العربي البدوي، لا يمكن أن يخاطَب بنفس المستوى التعبيري الذي يخاطَب به ملك أعجمي لا يفهم ما يقال له بالعربية إلا عن طريق الترجمة. كما أنه خاطب كثيرا من العرب باللغة التي يفهمونها؛ فلقد روي أنه حينما سأله بعضهم بلهجته قائلا: "هل من أمبر أمصيام في أمسفر؟"، رد عليه الرسول ﷺ بقوله: «لَيْسَ مِنَ امْبرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ»(1)، وذلك حتى يتمكن السائل من فهم الحكم الشرعي الذي سأل عنه بوضوح تام. كما روي عنه أنه ردَّ على وافد بني نهد بخطبة تضمنت ألفاظا غريبة؛ لأن خطبة الوافد كانت كذلك(2). ولعل خلاصة هذه المواقف كلها تبدو في قول علي رضي الله عنه: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"(3).

ويدخل في مراعاة مقتضى الحال، مراعاة مشاعر السامعين، حتى ولو كان الأمر يتعلق بفرد واحد؛ خاصة إن كان الأمر يتعلق بنصيحة أو بانتقاد سلوك ما. ومما يدل على ذلك؛ ما حدث للعامل الذي استعمله الرسول ﷺ "عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، هَذَا الَّذِي لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَهَلَّا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا؟»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّه بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ مَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي؟ فَهَلَّا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا...(4)". حيث يلاحظ أن الرسول ﷺ قد وجه الخطاب للمعني بالأمر مباشرة حينما كان منفردا، بينما ذكره بصيغة الغائب حينما كان بحضرة الناس.

وفي ختام هذه الحلقات الخمس التي ذُكرت تباعا في هذا العمود، يمكن القول إن ما ورد فيها من قضايا -على وجازته واختصاره- يشكل أسسا لا بد منها في الخطب المنبرية حتى تؤدي دورها المطلوب، وإلّا كانت مجرد كلام يُلقى على سامعين قلّ من يفهم مراده.

---

1 – مسند الحميدي: 888.
2 – ينظر نص الخطبة في: معرفة الصحابة، لأبي نعيم: 3974.
3 – صحيح البخاري: حيث رقم: 127.
4 – سنن الدارمي، حديث رقم: 1711.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني